



# الإسلام

## قاعدة ومنهج حياة

(قياسات مختارة من خطب آية الله قاسم)

بمأجزة آية الله العظمى الخميني (رحمته الله)

الحمد لله  
الذي هدانا لهذا  
الذي كنا لنهتدي لہ

الحمد لله

## معاونتہ التحقیق



- سرشناسه: قاسم، عیسیٰ احمد، ۱۹۳۸ - م.
- عنوان و نام پدیدآور: الإسلام قاعدة و منهج حياة : فسات مختارة  
من خطب آية الله قاسم / عیسیٰ احمد قاسم (دام عزه).
- مشخصات نشر: قم : مرکز بین المللی ترجمه و نشر المصطفیٰ ﷺ، ۱۳۹۴.
- شابک: ۹۷۸-۹۶۴-۱۹۵-۹۷۱-۷
- وضعیت فهرست نویسی: فیا
- یادداشت: عربی
- موضوع: اسلام -- جنبه های اجتماعی
- موضوع: اسلام -- تجدید حیات فکری
- موضوع: اسلام و سیاست
- شناسه افزوده: جامعة المصطفیٰ ﷺ العالمية.
- رده بندی کنگره: مرکز بین المللی ترجمه و نشر المصطفیٰ ﷺ
- ۱۳۹۴ ۵الف ۲ق/ BP۲۳۰
- رده بندی دیویی: ۲۹۷/۴۸۳
- شماره کتابشناسی ملی: ۴۰۷۸۲۱۹

# الإسلام قاعدة ومنهج حياة

( قِيسَاتٌ مَخْتَارَةٌ مِنْ خُطَبِ آيَةِ اللَّهِ قَاسِمٍ )

سماحة آية الله المجاهد الشيخ عيسى أحمد قاسم

المؤتمر الدولي لتكريم شخصية سماحة آية الله المجاهد الشيخ عيسى أحمد قاسم (رحمته الله)

شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابطہ پیدل < mktba.net



مركز المصطفى (ع) العالمي  
للدراسة والترويج

الإسلام قاعدة ومنهج حياة (قبسات مختارة من خطب آية الله قاسم<sup>(ص)</sup>)

سماعة آية الله المجاهد الشيخ عيسى أحمد قاسم<sup>(ص)</sup>

الطبعة الأولى: ١٤٣٧ هـ / ١٣٩٤ ش / ٢٠١٦ م

الناشر: مركز المصطفى<sup>(ص)</sup> العالمي للترجمة والنشر

● المطبعة: زلال كوثر ● السعر: ٤٠٠٠٠ ريال ● عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

حقوق الطبع محفوظة للناشر.

مراكز التوزيع:

- إيران: قم، ساحة الشهداء، شارع معلم العربي (شارع الحيتية)، زقاق ١٨. هاتف: +٩٨ ٢٥ ٢٧٨٣٩٣٠٦
- إيران: قم، شارع محمد الأمين، تقاطع سالارنية. هاتف: +٩٨ ٢٥ ٣٢١٣٣١٦٦ فاكس: +٩٨ ٢٥ ٣٢١٣٣١٦٦
- إيران: قم، مجتمع الناشرين، الطابق الثالث، رقم المجتمع ٣٠٨. هاتف: +٩٨ ٢٥ ٢٧٨٤٢٤٠٢

pub.miu.ac.ir    miup@pub.miu.ac.ir

شكر أعضاء المركز الذين تابعوا مراحل الطباعة والنشر حتى مراحله الأخيرة.

## كلمة الناشر

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾<sup>١</sup>

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين.

لقد شهدت دائرة العلوم الإسلامية على اختلاف موضوعاتها وأغراضها عبر تاريخها الطويل، اتساعاً واضحاً ونمواً مطرداً، صاحبها ازدهارٌ مشابهٌ في العلوم الإنسانية، وفي الفكر، والثقافة والتعليم، والفن والأدب.

وقد ازدادت هذه العلوم نشاطاً وحيويةً وعمقاً وشمولاً بعد انتصار الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني رحمته الله، وتساعدت حركة أسلمة العلوم، وتركيز القيم الدينية والروحية والإنسانية. بعد تزايد الحاجة الماسة إلى إيجاد الحلول للمشاكل والاستغهامات الدائرة في شتى الموضوعات الاجتماعية والسياسية والعقائدية. في ظلّ المتغيرات الحاصلة في مجمل دوائر الفكر والمجتمع، وانتشار شبهات العولمة والفكر الإلحادي، وحتى التكفير المتطرف، وبخاصة بعد ثورة الاتصالات الكبرى التي هيأت للعالم فرصة فريدة للاطلاع الواسع بما يحيط به.

من هنا دعت الحاجة إلى وضع مناهج للبحث والتحقيق، واستخلاص النتائج الصحيحة في كل علم من علوم الشريعة: في التوحيد، والفقه، والأصول، والفلسفة، والكلام، والحديث، والرجال، والتاريخ، والأخلاق والنفس، والاجتماع، وغيرها؛ لتوفّر سعادة الإنسان عليها في الدنيا والآخرة؛ ولتحقيق الغرض العبادي الذي خلق الإنسان من أجله ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>١</sup>.

فقامت في الحوزة العلمية حركة فكرية كبرى بتوجيه من قائد الجمهورية الإسلامية الإمام الخامني (دام ظلّه) وجهود الفقهاء والعلماء والمفكرين، والعمل الجاد وبذل غاية الوسع، من أجل بناء صرح علمي ديني رصين، وصياغة مناهج جديدة تُعنى بعلوم الشريعة، وعموم حقول المعرفة الإسلامية والإنسانية. وأخذت جامعة المصطفى (عليه السلام) العالمية على عاتقها، المساهمة الفعّالة في صياغة كثير من المناهج الدراسية، التي تنسجم مع تطوّر الحركة العلمية والثقافية الحديثة.

فأسست «مركز المصطفى (عليه السلام) العالمي للترجمة والنشر»، لينهض بنشر هذه الآثار العلمية وتقديّمها لطلاب العلم ورواد المعرفة. نأمل أن تأخذ هذه الآثار مكانها في المكتبة الإسلامية، وتلقى جميل الأثر، وحسن الردّ من رجال العلم والفضيلة؛ بأن يرسلوا إليها بما يستدركون عليها من نقص، أو خطأ يفوّت جهد المحقّق الحصيف، والمؤلف الحريص. والكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم جاء متّسقاً مع أهداف الجامعة، ومفردة من مفردات مناهجها الدراسية المترامية الأطراف. يتقدّم «مركز المصطفى (عليه السلام) العالمي للترجمة والنشر» بوافر الشكر

لمؤلفه الكريم على ما بذله من جهد وعناية، ولكل من ساهم بجهوده لإعداد هذا الكتاب، وتقديمه للقراء الكرام.  
نسأل الله تعالى التوفيق والسداد، وهو من وراء القصد.

مركز المصطفى ﷺ العالمي  
للترجمة والنشر





## الفهرس

١١	مقدمة.....
١٣	الإسلام والحياة.....
١٩	أهل البيت عليه السلام قادة الحياة وصناع الإنسان.....
٢٩	الحسين عليه السلام ملهم الأحرار.....
٣٥	المهدي عليه السلام المتظنون المصلح الأكبر.....
٤١	العلماء الصالحاء امتداد خط الإمامة.....
٤٧	الإسلام والسياسة.....
٥٩	التفقه في الدين.....
٦٥	طريق الهدى وطريق الهوى.....



## مقدمة

تصنع الرجال بمواقفها، وتخلد المواقف بمدى ملاستها للمباني والمرتكزات الدينية في أبعادها الاعتقادية والأخلاقية والشرعية، فكلما انبثقت هذه المواقف العملية من منظومة دينية تبلورت من خلال الرؤية الكونية الشاملة، كان من الجدير أن تكون منهجاً ناضجاً يثري مسار الحركة الإسلامية والواقع الإسلامي في نظيراته ومعالجاته ومقارباته وتشخيصاته للواقع المعاش في نظرته التأسيسية والتصحيحية.

إن عصارة فكر العظماء وتجاربهم تختزلها كلماتهم وأطروحاتهم، وتزدان الكلمات رونقاً وجمالاً وعذوبة إذا امتزجت برصيد ومخزون عملي طال مداه عقوداً من الزمن، ليدل على واقعية هذه الكلمات وأنها ليست مجرد حروف تلوّكها الألسن فتتلاشى في الهواء.

بين أيدينا عصارة علم وفكر وتجارب وخبرة لعالم من علماء مدرسة أهل البيت (عليه السلام) التي تشرفت جزيرة أوال البحرين بعمامته وردائه ومحاربه ومنبره، ألا وهو سماحة آية الله القائد المجاهد الشيخ عيسى أحمد قاسم (رحمه الله)، تلك الجزيرة التي أسلمت برسالة النبي (صلى الله عليه وآله) وآمنت بولاية أمير المؤمنين (عليه السلام).

١٢ الإسلام قاعدة ومنهج حياة (قبسات مختارة من خطب آية الله قاسم مسمع)

طوعية، فنالت شرف الإسلام وفخر الإيمان.

هي قبسات ثرة وكلمات مختارة فيها خير الدنيا والآخرة للفرد والمجتمع،  
نسأل الله العليّ القدير أن ينتفع بها العباد فتنتفع البلاد.  
والحمد لله رب العالمين.

## الإسلام والحياة

الإسلام فطرة نقيّة هادية تغنى بها نفس الإنسان من صنع الله، ووحى تنزّل منه سبحانه على قلوب أنبيائه ورسله وهي قلوب طاهرة زاكية وعيّة لا يشته عليها حقّ وباطل، ولا يشوب هداها ضلال، وقد صانها بارئها من أن تفيل عمّا بُلّغت، أو تزل عمّا كُلفت، أو يعدل بها شيطان أو حادث عن الطريق.<sup>١</sup>

الفطرة التي يعتمدها الإسلام، وتُمثّل إحدى ركيزتيه نور يوصل القلب والعقل بحقيقة التوحيد، والحقائق المنبثقة منها، ونورٌ يهدي إلى ضوابط السلوك، والخلق القويم، وما يضمن استمرارية الحياة، واستقامة الطريق.<sup>٢</sup>

الإسلام عقيدة واحدة ثابتة من أوّل يوم تنزّل وحي على نبي ورسول إلى آخر وحي تلقاه القلب الطاهر لخاتم الأنبياء ﷺ لم يمسخها تغيير، وشرعية تدرّجت مع تدرّج الإنسان، واتّسعت بسعة حركته، وزيادة نشاطه، مراعية نموّه وتطوّره وتعقّد مشكلاته حتّى تمت بخاتمة الرسالات، وأخذت الصورة النهائية لها بما فيها من قواعد راسخة تُراعي الثابت والمتحرك في حياة

---

١. خطبة الجمعة (٤٢٠) ٧ شوال ١٤٣١ هـ - ١٧ سبتمبر ٢٠١٠ م.

٢. المصدر نفسه.

الإنسان، وأوضاع زمانه ومكانه من غير أن يلحق تلك القواعد الراسخة بتعديل أو تغيير بتغير الزمان والمكان وتطور الأوضاع.<sup>١</sup>

قد حرص الإسلام على إشادة نظام حياتي قوي متين متناسق متماسك شامل يوفر للإنسان سعادته في الدنيا بما تطبق من سعادة في أحسن ظروفها، وفي ظل أروع تصميم لمنهج التعامل فيها، وسعادته في الآخرة والتي لا يمكن أن تلحقها أكبر الصور للسعادة في دار الفناء وحياة التزامهم.<sup>٢</sup>

على طريق المنهج العام الحياتي من تخطيط الإسلام لضمان السعادة للإنسان في الدنيا والآخرة، خطط لاقتصاد عام ناجح يتكون نسيج منهجه من أسس اقتصادية عادلة في مرحلة ما قبل الإنتاج وما بعده، وضوابط حكيمة لتوزيع الثروة الخام تراعي مصلحة الفرد والمجتمع، وتقوم على نظرة الاشتراك العام في الثروة الأولية، وكون الناس كل الناس عيال الله في أرضه الذين خلق هذه الأرض وخصوبتها وعطاءها وكنوزها، وفتح عليهم باب الخيرات وتنزل البركات لإعالتهم إعالة كافية مريحة.<sup>٣</sup>

نحن أمامنا إسلام لا ريب فيه، وهو على نوعين: إسلام واقعي كوجوب الصلاة والصوم، وإسلام جهادي كفروع كثيرة في مسائل الصوم والصلاة والحج مما يختلف عليه المجتهدون.

عرفنا أن علينا أن نسلّم بالشريعة في ضروراتها، ولكن كيف نسلّم بالشريعة في اجتهاداتها؟ قام الدليل المتيقن على الأمر بالتعبّد باجتهاد المجتهد الكفو الصالح.

فهذه الاجتهادات التي قد يكون بعضها غير مصيب للواقع قد أذن الله عزّ

١. المصدر نفسه.

٢. خطبة الجمعة (٢٢٦) ٢٧ ذي القعدة ١٤٢٦ هـ - ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٥ م.

٣. المصدر نفسه.

وجلبَ دليل قطعي يعرفه الفقهاء كلهم بأن يتعبد كل أهل شريعة من شرائع السماء وحسب زمن تلك الشريعة على أساس من هذه الاجتهادات.<sup>١</sup>

هناك أولويات في القراءة ولا بد من قراءة الفكر الإسلامي أولاً، لا بد أن تتغذى بالفكر الإسلامي من مصادره الأصلية، ومن مدارسه المعروفة المشهورة المسلم لها إسلاميتها، ومن بعد ذلك لك أن تقرأ ما تحتاجه من أجل مواجهة الباطل ومن أجل الاستفادة من الفكر الآخر في بعض زواياه، والفكر الآخر على المستوى الإنساني دائماً يستهدف الهدم ودائماً يستهدف التحطيم وأنت إذا أردت أن تستفيد إنما تطلب ذلك من خلال الفكر العلمي، من خلال علم الفلك، من خلال علم الأحياء، من خلال الصناعات، من خلال التقنية الحديثة، من خلال هذا العلم الحيادي من صناعة الإنسان.<sup>٢</sup>

جاء الإسلام ليرفع بالإنسان في روحه، وعقله، وقلبه، ونفسه، وأهدافه، وأفكاره، ومشاعره، وخواطره، ورؤاه، ونواياه، وإراداته، وعزمه وتصميمه، وعمله وسعيه إلى أعلى مراقبه، وأرفع درجاته التي تهيش لها استعداداته الفطرية وقابلياته من فيض الله. ولترابط الإنسان روحاً وبدناً، تشابك الدين والدنيا في رؤية الإسلام وتخطيطه، وجعل الدين السمي الصالح من المؤمن للدنيا من سعيه الناجح لآخرته.<sup>٣</sup>

الإسلام لا يُراد له أن يكون حبيس الزوايا، متقوقعاً في البيوت، وفي الإعلان بالفريضة تركيز للفريضة في عقول ونفوس أجيال شابة، ونشرٌ للشعائر الإسلامية، وتقوية لنفوس الضغفاء، وتشجيع على الطاعة، وفتح فرصة لمحاسبة من يتهاون في الواجبات، ولهذه الخلفية وغيرها من أسرار الحكم

١. خطبة الجمعة (٢٨٧) ٢٢ جمادى الأول ١٤٢٨ هـ - ٨ يونيو ٢٠٠٧ م.

٢. خطبة الجمعة (١٥) ٢١ ربيع الثاني ١٤٢٢ هـ - ١٣ يوليو ٢٠٠١ م.

٣. خطبة الجمعة (٢٢٦) ٢٧ ذي القعدة ١٤٢٦ هـ - ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٥ م.



عند الله تبارك وتعالى كان الإعلان للواجبات مطلوباً<sup>١</sup>.

الإسلام دائماً يقيم المشاعر على الحقائق، يجعلك وجهاً لوجه مع الحقيقة، يريك الحقيقة على واقعها من أجل أن تكون مشاعرك موضوعية غير خيالية، وإذا كان منبت المشاعر هو الحقيقة، فإن المشاعر ستكون حقيقةً وستفقد في الأخير إلى نتائج حقيقية.

أما المشاعر التي تنشأ من فراغ أو تقوم على قاعدة من وهم أو خيال أو خطأ في التصور، فإنها مشاعر كاذبة لا يمكن أن تنتهي إلا إلى نتائج كاذبة مثلها، ويحرص الإسلام دائماً أن يقدم لك الحقيقة على واقعها وعلى ما هي عليه في الخارج<sup>٢</sup>.

الإسلام يطالبنا أن نبني مشاعرنا في ضوء مطالعة فكرية هادئة، في ضوء دراسة عقلية موضوعية، علينا أن نفرغ أولاً من ناحية فكرية..

أن الملك لله أو أن الملك لغيره؟!

أن الغنى بيد الله أو أن الغنى بيد غيره؟!

وإذا كان الملك والغنى له وحده فكيف لي أن أتعلق بالملوك في

رجاءاتي وآمالي وأترك ملك الملوك؟!

افرج أولاً من بناء فكر سليم تبني لك مشاعر سلمية. ولذلك نحن محتاجون دائماً في تربية الأجيال وفي تربية الصفوة بصورة خاصة، أن نبني تصورات دقيقة وأن نقدم فكراً سليماً من أجل أن تتحرك حياة الأجيال على المسار الصحيح من حيث المشاعر والمواقف العملية. ما لم نبين فكراً سليماً فستظل المسيرة قلقة مضطربة تميل يميناً ويسرة<sup>٣</sup>.

١. خطبة الجمعة (٢٠٢) ٢٥ ربيع الثاني ١٤٢٦ هـ - ٣ يونيو ٢٠٠٥ م.

٢. خطبة الجمعة (٢٤٠) ٢٩ ربيع الأول ١٤٢٧ هـ - ٢٨ أبريل ٢٠٠٦ م.

٣. المصدر نفسه.

من النَّاس من هو الضَّارُّ، ومنهم من هو النافعُ، منهم من هو المفسد ومن هو المصلح، من دوره الإعمار، ومن دوره التخريب. ومنهم من لا يكاد يكون له دور فاعل في هذه الحياة. والإسلام دين يدفع للإعمار، والنفع، والبناء الصَّالح، وإثراء الحياة بكلِّ خير. والإنسان إنَّما أوجده الله في الأرض ليكون الخليفة الصَّالح فيها؛ يركو في ذاته، ويتبادل التأثير الإيجابي في هذا المجال، ويعمرُ الأرضَ متعاوناً، ويقيِّمُ حضارة الهدى والثَّراء، ويتقدَّم بالأوضاع، ويُبدع ما أمكنه الابداع على طريق الخير والصَّلاح.

والإسلام يدفع الإنسان في هذا الاتجاه، ويقود خطواته على هذا الطريق، ويذوده عن أن يكون مُفسداً، وبينيَّ شرّاً، ويهدم خيراً، أو يتصرَّ لباطل، وعن أن يتعطلَّ دوره، وتُشلَّ حركته، ويخرجَ من الدِّنيا بلا إضافة نافعة له في نفسه، وفي الحياة.<sup>١</sup>

الإسلام في عقيدته، وأخلاقته، وتشريعاته كلّها لا ينفك عن وظيفة الإعمار لذات الإنسان والحياة. ولا طاقة ولا جهد للإنسان، ولا لحظة من لحظات عُمره إلا ويعمل الإسلام على إنفاقها في هذه الوظيفة، ويضعها في هذا الاتجاه. إخراج النَّاس من الظلمات إلى النُّور، وتزكيتهم، ورفع الأغلال والأنقال عن حركة النموِّ الصالح لعقولهم وقلوبهم، وهدايتهم إلى الصِّراط المستقيم وتوجيههم إلى الله ليصوغوا حياتهم في ضوء عشقهم لجلاله وجماله وكماله المطلق مهمَّةً مشتركة بين كلّ الرِّسالات السماوية المستهدفة لصناعة الإنسان وتربيته تربية إلهية عالية تجعله يغنى بأكبر قدر يطيقه وجوده من نزاهة معنوية، وجمال ذات وكمال.<sup>٢</sup>

١. خطبة الجمعة (٤٢٣) ٢٨ شوال ١٤٣١ هـ - ٨ أكتوبر ٢٠١٠ م.

٢. المصدر نفسه.



## أهل البيت عليهم السلام قادة الحياة وصناع الإنسان

الإمامة قيادة إنسان لحركة الإنسانية في اتجاؤ صاعده، عبر تبليغ دين الله وافهامه وتنفيذه في حياة الناس -بتعاون من إرادتهم- وبكل نظم، من نظام عبادي واجتماعي واقتصادي وسياسي وإداري، وعلى مستوى نواحي الحياة كلها، إيصالاً للناس لغاية نضجهم وكمالهم.<sup>١</sup>

الإمام وظيفته تربية العالم على خط الله، السمو بكل من في العالم لوضعه على خط الله، والإمام كما يدخل في مسؤولية تربيته أصغر صغير، يدخل في مسؤولية تربيته أكبر كبير علماً وتقوى ونضجاً وفهماً.<sup>٢</sup>

الولاء لأنمة أهل البيت عليهم السلام هو ولاء لله أولاً، ورضى بحكمه العادل، وولاء للمنهج الإسلامي كاملاً بكل مفرداته وتركيبته وتكاليفه ومقتضياته. وهو ولاء لا يعدل بهم عليهم السلام أحداً ممن يزاحمهم من الناس، ولا يتعدى بهم موقع العبودية المحضة والعبادة الخالصة الصادقة لله، والإفراط والتفريط في هذا الأمر معاً مردودان من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على صاحبهما.<sup>٣</sup>

١. خطبة الجمعة (٤٣٠) ١٩ ذو الحجة ١٤٣١ هـ - ٢٦ نوفمبر ٢٠١٠ م.

٢. المصدر نفسه.

٣. خطبة الجمعة (٣٠) بتاريخ ٩ شعبان ١٤٢٢ هـ - ٢٦ أكتوبر ٢٠٠١ م.

كمال الدين بالإمامة التي أرادها الإسلام ورضيها، وبإلغاء الإمامة يدخل النقص على الدين، فإن كان الإلغاء نظرياً وَجِدَ الدين ناقصاً على المستوى النظري ويتبعه النقص في مقام العمل، وإن كان الإلغاء عملياً لم يفن الكمال النظري في المقام العملي، وعمّ الدين النقص من الناحية العملية في بنيته كلّها، وحتى الأساس العقيدي منه، وقاعدته التي يقوم عليها.<sup>١</sup>

إنّ نعمة الوجود والحياة نعمة كبرى ولكن لها غاية، وغايتها أن يبلغ الموجود حدّ كماله، وكمال الإنسان في كمال روحه الذي يتم على طريق عبوديته وعبادته لله في كل مساحات حياته، الشيء الذي لا يتم للناس في ظل أوضاع طاغوتية تصرف عن الله. والطاغوتية البديل العملي الضروري، عندما يغيب خط الإمامة الذي يركز الولاء لله، فنعمة الوجود والحياة والدين يحتاج تمامها إلى إمامة من تصميم يد الابداع الإلهي، وقد أتمّت هذه النعمة بذلك التصميم، وبما بلغ به رسول الله ﷺ في شأن الولاية. ومن بعد ذلك تبقى المسؤولية مسؤولية العباد أنفسهم.<sup>٢</sup>

الإيمان بأن تبعات الأمة الانبعاث الشاملة وعودة الإسلام إلى موقع الريادة العملية في الأرض وتطبيقه التطبيق التام العادل، لا ينفصل عن عودة الإمامة الراشدة، على يد المعصوم وهو المنتظر من آل محمد ﷺ، فليست تصلح الدنيا في آخرها إلا بما صلحت به في أولها. صلحت دنيا الإسلام برسول الله ﷺ ومنهجه الكامل، وتصلح الدنيا في آخرها بمنهج الإسلام والمعصومين ﷺ والقائم ﷺ.<sup>٣</sup>

هذا البيت بيت قيادة عالمية وقد احتضن اثني عشر قيادة إلهية عالمية يرتبط مصير العالم في سلامة خطه الحضاري واستقامته على الدرب، وسعادته أو شقائه دنياً وآخرَةً بما عليه نوع علاقته بهم مودة ومحبة، أو بغضاً

١. خطبة الجمعة (٣٠) بتاريخ ٩ شعبان ١٤٢٢ هـ - ٢٦ أكتوبر ٢٠٠١ م.

٢. المصدر نفسه.

٣. المصدر نفسه.

وقلاً، متابعةً أو مقاطعةً، طاعةً أو عصياناً. فإنهم من رسول الله ﷺ وهو منهم، وهم الإسلام والإسلام هم. والنجاة إنما هي بالإسلام ديناً وبهم قيادة ارتضاها هذا الدين، ولم يرض مستوى دون مستواها إلا في حالات الاضطراب التي تعزل المعصوم عن الساحة ولا يمكن الوصول إليه<sup>١</sup>.

انظروا وقد مضى أكثر من عشرة قرون على الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ممن توفوا، والقيادة المنتظرة مغيبة عن الساحة، لكن أهل البيت ﷺ لهم حضورهم القوي الفاعل في القلوب ومن خلال الملايين التي تؤم مشاهدتهم فتعلم منهم البطولة وتتعلم منهم الإيمان وتشف بهم القلوب والأرواح، ويتخرج الإنسان من خلال خمس دقائق يلتقي معها بضريح الإمام المعصوم ﷺ مستوى جديداً في روحه وفي فكره وفي توجهاته وفي طموحاته وعزيمته وفي إرادته<sup>٢</sup>.

لا شك في أن الأئمة ﷺ قادة للإنسانية وأكبر من مجرد ساسة محنكين ومنصفين، فإنهم لقيادة الحياة، وصناعة الإنسان وتربيته وتزكيته، والتقدم بحركة الحياة في كل أبعادها الصالحة، وإعداد الإنسان بكل مستوياته إعداداً إلهياً ينتهي به إلى أقصى درجات الكمال الفكري والنفسي والروحي، مع بناء أوضاع اجتماعية وسياسية واقتصادية وعلمية وصحية وأمنية يشعر الناس من خلالها بطعم الحياة الهنيئة الراقية<sup>٣</sup>.

ليس وارداً القول بأن الأئمة ﷺ قد اعتزلوا الحياة العامة، وشأن الأمة ومنه البعد السياسي، وعاشوا حالة اللامبالاة بهذا الشأن وبهذا البعد بالخصوص، واكتفوا بدور الوعظ والإرشاد العفوي أو المخطط، وكانوا على مستوى المعلم المتفرغ لتعليمه، والكاتب المشغول بكتابته، والمحقق في أي حقل من حقول المعرفة المستغرق في تحقيقه، وصاحب الهم الثقافي المشغوف بنشاطه

١. خطبة الجمعة (٣٠) بتاريخ ٩ شعبان ١٤٢٢ هـ - ٢٦ أكتوبر ٢٠٠١ م.

٢. المصدر نفسه.

٣. خطبة الجمعة (٨٠) ٤ شعبان ١٤٢٣ هـ - ١١ أكتوبر ٢٠٠٢ م.

الثقافي، هم عليه السلام أكبر من كل هذه النماذج والأمثلة بكثير.<sup>١</sup>  
لقد كان الصادق عليه السلام بعيد النظر، ناقد الرؤية، صاحب خطة واضحة بعيدة المدى، وما كان ناسياً هموم الأمة، ولا متفرجاً على معاناتها، ولا مفصولاً عن حاضرها، ولا غائباً عن وعي ساحتها السياسية وملابساتها وأهميتها، ولا انهزامياً ولا سلبياً، ولا فاقداً للنظرة المعمقة وهو يُعطي جهداً ضخماً مضاعفاً لترسيخ الحركة الإيمانية الصادقة، والعلمية النابضة، والولائية الواعية المخلصة، ليضع الأمة على الطريق المبصر، ويحفظ لها أصولها.<sup>٢</sup>

قادة حياة، يحملون مسؤولية توجيه الحياة والإنسان، صناعة الحياة والإنسان، ولا أظن أحداً ممن ينفي السياسة عن الأئمة عليهم السلام يريد اعتزالهم لها وإلا ظلمهم وقال قولا شططاً، وبعد عن الحق كثيراً. لقد كانوا وهم خزانة علم الوحي، وقادة الأمم، وورثة الأنبياء، وقوام الدين، والمؤمنون على حركة التاريخ، ومصير الرسالات الإلهية أكبر من كل ذلك، وأبعد شأنًا، وأنزه من أن يقال فيهم هذا القول.<sup>٣</sup>

الوظيفة الأم للإمام الشرعي، لا تختلف - فيما عدا تلقّي الوحي - عن وظيفة الرسول ﷺ، وتتركز في تكميل البشر وتربيتهم تربية إلهية رفيعة في كل أبعاد الحياة، ووضعهم على المسار العبادي الواصل إلى الله (، وهو الصراط المستقيم. وتولي الشأن السياسي وتصريف أمور الأمة بعدد من الأبعاد التي تقع على طريق التكميل والتربية الشاملة، والنهوض بمستوى الإنسان الذي يُسأل عنه الإمام، ويجب الانقياد إليه من أجله.<sup>٤</sup>

خطُ الولاية لحفظ الإسلام، والنأي به عن الخطأ والتحريف في الرأي والتطبيق، وصناعة الإنسان على ضوئه، ولوحدة الأمة واستقلاليتها وعزتها وكرامتها

١. خطبة الجمعة (٨٠) ٤ شعبان ١٤٢٣ هـ - ١١ أكتوبر ٢٠٠٢ م.

٢. خطبة الجمعة (٢٢٢) ٢٩ شوال ١٤٢٦ هـ - ٢ ديسمبر ٢٠٠٥ م.

٣. خطبة الجمعة (٨٠) ٤ شعبان ١٤٢٣ هـ - ١١ أكتوبر ٢٠٠٢ م.

٤. خطبة الجمعة (٩٩) ١٩ ذي الحجة ١٤٢٣ هـ - ٢١ فبراير ٢٠٠٣ م.

وسبقها. وهو بما يُمثّل من نقاء الإسلام وحقانيته وربانيته وانفتاحه على المصالح الحقيقية لكل الشعوب والأقوام، لا بد أن يكون من أجل الأخوة الإنسانية العامة، والعدل في كل الناس، والتربية القويمة لكل العالم، والسّلم والأمن الشامل والكامل. فأطروحة الولاية بريئة من الضيق، والشّع والأناثية والانغلاق، من التعصب الأعمى، من الصراع على المصالح الدنيوية، من الاستعلاء والاستكبار، من الحقد والانفعالات العدوانية كما هي براءة الإسلام وطهره ونقاؤه.

وكما أن أزمت الأمة والعالم راجعة في أصلها إلى الانفصال عن هذا الخط، فكذلك لا يتم اعتناق العالم من أسر أزماته إلا بالعودة إليه.<sup>١</sup>

قد يُراد أن أكثر الأئمة عليهم السلام لم يخططوا لقلب نظام الحكم المعاصر لهم، ولم يقودوا ثورة بهذا الغرض، وهذا صحيح وواقع، وله أكثر من سبب، ومن بين هذه الأسباب: أنهم ليسوا طلاب حكم لنفس الحكم، ومن أجل الامتيازات التي تنالها الذات، وإنما إذا طلبوا الحكم فلأجل مصلحة الإسلام والإنسان كلّ إنسان، وحيث يتناقض - حسب تشخيصهم - طلب الحكم مع مصلحة الإسلام والمسلمين لبعض الملابس لا يعقل في حقهم هذا الطلب، وقد اعتذر الإمام علي عليه السلام عن الحكم معروضاً عليه، واشترط لنفسه ما اشترط، وعُرض على الصادق عليه السلام من أبي مسلم الخراساني أن يقود هذا الأخير حركة لإسقاط الحكم لصالح إمامة الإمام عليه السلام فحرق عليه السلام كتاب العرض.<sup>٢</sup>

يصرّ الأئمة عليهم السلام على عدم إضفاء الشرعية الدينية على مختلف أنظمة الحكم التي لا تلقى ورويتهم الدينية المعصومة في المسألة من غير أن يعني ذلك المواجهة الساخنة المكشوفة أو غير المكشوفة، أو يمنهم من التعاون في الخير مع تلك الأنظمة حيث تتطلب المصلحة الإسلامية هذا التعاون ويقضي به الحفاظ على هوية الأمة.<sup>٣</sup>

١. المصدر نفسه.

٢. خطبة الجمعة (٨٠) ٤ شعبان ١٤٢٣ هـ - ١١ أكتوبر ٢٠٠٢ م.

٣. المصدر نفسه.



لقد ضربت سيرة الأئمة عليهم السلام المثل الحي في الحفاظ على مصالح الإسلام والمسلمين، والتعايش السلمي وإسداء النصيحة العملية لحكومات لا يرون شرعيتها من ناحية دينية، من دون أن يشاركوا في ظلم، أو يعينوا على باطل، أو يقصروا في واجب، أو تجري على يدهم مداينة لا يأذن بها الله.<sup>١</sup>

إن نجاح أي حكم قائم على رضا الشعب والأمة، وقد رأينا أمير المؤمنين عليه السلام يعتذر عن قبول الحكم بعد وفاة عثمان، وقد يكون من منطلقات ذلك الامتناع هو عدم ملاءمة الظروف الموضوعية لنجاح الأطروحة الإسلامية، أمير المؤمنين معصوم، وقيادته ناجحة بالكامل، لكن الصف النخبوي الذي يؤمن بالإسلام وبالأطروحة الإسلامية، ويصبر على الأطروحة الإسلامية ويعطي لها كل شيء لم يكن بالدرجة الكافية.

والإسلام لا يريد حكماً شكلياً. الإسلام يريد حكماً حقيقياً، يريد أن يصنع نفوساً، يريد أن يصنع عقولاً، يريد أن يخلق واقعاً إسلامياً ولا يريد أن يحكم حكماً شكلياً فحسب. وهذا ما يفرض عدم عزل الحكم الإسلامي رضا النصاب الكافي من الناس لإقامته.<sup>٢</sup>

صحيح أنهم يطلبون الحكم وسيلة، ولكن أين غايتهم وأين الحكم؟ غايتهم تتجاوز الحكم بمسافات هائلة شاسعة لا يملك لها الإنسان حداً.. إنهم يحاولون أن يرتفعوا بالأرض، بكل ذرة في هذه الأرض التي تسبح بسم الله، أن يرتفعوا بهذه الأرض، بكل ذرة فيها، بكل إنسان عليها، بكل شيء يسكنها، أن يرتفعوا بها إلى الخط الصاعد إلى الله، ويضعوا المسيرة الحضارية كلها على خط الله، لتهدى ولترشد ولتستقيم ولتعيش آمنة ولتطمئن ولتغنى وتثرى على كل المستويات، إنهم جاءوا ليصنعوا الأمة، ليصنعوا البشرية، الصناعة

١. خطبة الجمعة (٣٠) ٩ شعبان ١٤٢٢ هـ - ٢٦ أكتوبر ٢٠٠١ م.

٢. خطبة الجمعة (١٨٢) ٣ ذو الحجة ١٤٢٥ هـ - ٤ يناير ٢٠٠٥ م.

التي لا تستطيعها أطروحة غير الأطروحة التي ارتبطوا بها وبشروا بها، ولا تستطيع أن تصنعها قيادة غير قيادتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.<sup>١</sup>

لقد كانت المعركة الكبرى للأئمة من أهل البيت عليه السلام من أجل أن يصبروا الأمة بمرجعيتها الشرعية بالحق في ما يصح أو لا يصح، يحرم أو يجب، يجوز أو لا يجوز في دين الله. وإنه إذا قامت الحجة الشرعية على صحة كون الفقيه من فقهاء أهل الحق مع عدله وتقواه أن ينطق في حدود تفقهه واجتهاده بلسان الشريعة في حدود ما دل عليه الدليل حتى الظاهري وبحسب هذه الدلالة واقعية أو ظاهرية؛ فإن من لم يكن كذلك فالدليل الشرعي القطعي قائم على حرمة فتواه ونسبة آرائه وتنظيراته إلى الشريعة، وعلى حرمة أن يعتبرها الآخرون من الدين.<sup>٢</sup>

إنه يجب أن يكون واضحاً أن انتماءنا للإسلام والإمام عليه السلام لا يصح أن يوضع من ناحية عملية في إطار الانتماء الفقهي على مستوى مسائل الصلاة والصوم والحج وما مثلها فحسب، في حالة من التخلف في المساحة العامة عن خط الإمامة والقيادة المترسّخة عن هذا الخط، وهي قيادة الفقهاء العدول الأمناء من ذوي الخبرة والكفاءة. لا يصح أن تنزّل القيادة في وعينا إلى القامات القصيرة بعد الإمام المعصوم عليه السلام، وإذا اضطررنا إلى قيادة بديلة فلا بد أن تكون مُتمثلة في القامة الأقرب إلى المعصوم عليه السلام والتي تتمثل في الفقيه العادل من ذوي الخبرة والكفاءة.

وعند حدوث تلك التجزئة في حياتنا مختارين سنكون إسلاميين وإماميين صوماً وصلاةً وحجاً مثلاً، ولكننا شيء آخر في المساحة العامة من الحياة الاجتماعية والسياسية، وهي مفارقة واضحة سخيفة في حياة الفرد والجماعة.<sup>٣</sup>

أهل البيت عليه السلام قبله تتجه بأهل الأرض إلى السماء وقدوة أولى، ومثل

١. خطبة الجمعة (٣٠) ٩ شعبان ١٤٢٢ هـ - ٢٦ أكتوبر ٢٠٠١ م.

٢. خطبة الجمعة (٢١) ٥ جمادى الثاني ١٤٢٢ هـ - ٢٤ أغسطس ٢٠٠١ م.

٣. خطبة الجمعة (٢٢٢) ٢٩ شوال ١٤٢٦ هـ - ٢ ديسمبر ٢٠٠٥ م.

أعلى على مستوى الإنسان يقود البشرية على خط الحياة الصاعدة، على طريق الكمال المطلق والمثل الأعلى على الإطلاق. تلك القبلية قبله للأجيال كلها، وتلك القدوة قدوة للمستويات الرفيعة كلها.<sup>١</sup>

ها هم الأئمة عليهم السلام يصنعون الأجيال الصاعدة، الأجيال الفولاذية التي لا تنازل عن إيمانها ذرة، والتي تأخذ على نفسها أن تواجه كل الاستكبار العالمي عند الضرورة، دون أن تتخلى عن إسلامها وعن ارتباطها بالله، هكذا هم الأئمة إنهم أحياء، إنهم قادة فعليون، وسنقى مرتبطين بهم، ويخطهم الكريم الذي لا يقصد إلا إلى الله.<sup>٢</sup>

إننا وبوحي من السيرة الواعية الهادية المعصومة للإمام الصادق عليه السلام مسؤولون عن تركيز وعي إسلامي رشيد مؤصل، وتقديم رؤية إيمانية واضحة، وتجلية كافية للمفاهيم الإسلامية، وتثبيت القيمة العالية للأحكام الشرعية في النفوس، وتأكيد الانشداد إلى المرجعية التي تمثل الامتداد الطبيعي لخط الإمامة إبقاءً للجيل الحاضر والأجيال القادمة على الخط الإلهي الصحيح، وحتى لا تفصل حركة الأمة عن قاعدتها الإسلامية، ومرجعيتها الشرعية في مختلف المجالات.<sup>٣</sup>

لا يتخلى الأئمة عليهم السلام عن تربية الأمة، وحماية ثقافتها، وحراسة خطها الحضاري والإسلامي والإسهام في تصحيح الوضع السياسي بالنقد والتوجيه والنصيحة وتعربة الأخطاء ما أمكن، وعن تركيز وعي الأطروحة الإسلامية في صفوف الأمة، والنأي بها عن الإنزلاقات الفكرية، والضبابية في الرؤية الإسلامية - في أي بعد من أبعاد الإسلام - والدفع بحركة الأمة في الاتجاه الصحيح الذي ينتهي بها إلى الخيار الإسلامي والحل القرآني لا غير.<sup>٤</sup>

١. خطبة الجمعة (٣٠) ٩ شعبان ١٤٢٢ هـ - ٢٦ أكتوبر ٢٠٠١ م.

٢. المصدر نفسه.

٣. خطبة الجمعة (٢٢٢) ٢٩ شوال ١٤٢٦ هـ - ٢ ديسمبر ٢٠٠٥ م.

٤. خطبة الجمعة (٨٠) ٤ شعبان ١٤٢٣ هـ - ١١ أكتوبر ٢٠٠٢ م.

علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام نموذج من أروع نماذج القِمة في مسار الرقي الإنساني والرسالي الذين شهدهم تاريخ الأرض والرسالات. إنه كذلك في كلماته ومواقفه وعلاقاته... في فكره، وعقيدته، وعبادته، وحُكمه، وسياسته وفي كل أحواله وسيرته وجهاده. وصي رسول الله الأعظم ﷺ، ووارث علمه، وحكمته، ووارثه في موقعه عدا النبوة، إذ لا نبي بعد محمد ﷺ، وبمحمد عليه وآله أفضل الصلاة والسلام اختتام الوحي والرسالة.

تقرأ فيه الإسلام، وتقرأه في الإسلام، والعارف بأحدهما عارف بالآخر، وكل منهما مرآة لصاحبه، وليس ألصق منه مستوى ومكانةً وشأناً برسول الله ﷺ، ولا مثله. هو الإنسان الأكمل بعده، وإمام الأمة والإنسانية الذي لا بدّ لهما منه بعد فقد النبي الكريم إذا أريد لهما البقاء على خط الإسلام في أصالته، وصفائه، وسماويته الخالصة ونقائه.

هكذا هو علي عليه السلام كما يقدمه القرآن الكريم، وكما تقدّمه السنة المطهرة، وكذلك سيرته المعطرة. فليقتل بعلي من أبناء الأمة عظاماؤها وقادتها الأمميون، وكل من أحب أن يسلك طريق العظمة.<sup>١</sup>

فاطمة الزهراء عليها السلام التي نالت شهادة الزكاة والطهر والعصمة قرآناً وسنةً، وسجلت عظمةً في الموقف السياسي المسؤول، وكانت المثال الأخلاقي الرفيع، وقمة عالية في العلم والتقوى والشرف والعفة والفضيلة ودقة الرأي، وصدق الرؤية، وشجاعة الموقف هل يتخذها المؤمن والمؤمنة قدوتها وقدوة الأسرة كلها بعد أن تنكر لهذه القمة العالية الإعلام والتربية العامة؟ سؤال يطرح على المؤمن والمؤمنة وعليهما دائماً أن يطرحا هذا السؤال على نفسيهما.<sup>٢</sup>

فاطمة الزهراء عليها السلام تسجل عفةً وحجاباً، وتسجل فضيلةً وكرامةً وتسجل

١. خطبة الجمعة (٥٥٦) ١٣ رجب ١٤٣٤ هـ - ٢٤ مايو ٢٠١٣ م.

٢. خطبة الجمعة (٧٤) ٢٢ جمادى الثاني ١٤٢٣ هـ - ٣٠ أغسطس ٢٠٠٢ م.

التزاماً، وتسجل عدم اختلاط بالرجال، وتسجل حضوراً سياسياً مبدئياً كبيراً فاعلاً قديراً خالداً لم يمارسه الرجال، امرأة وحدها في عمر الزهور، تقف وباباء وبكل ثقة وبكل إيمان، موقفاً لم يستطع الرجال أن يقفوه، لتقول رأيها في الإمامة وتسجله لتسمع الدنيا كل الدنيا، فتبقى كلمتها مدوية في التاريخ وأن الإسلام مربوط بالإمامة وأن الإمامة مربوطة بالإسلام.<sup>١</sup>

جاءت رسالة رسول الله ﷺ لتبعث الإنسانية من جديد، وحين غاب أهل البيت ﷺ كثرت الفوضى، وحين سُرق بالسفينة وعُرب بها عن خط أهل البيت ﷺ، اضطربت الأرض، واضطرب أهل الأرض، ولا زال أهل الأرض في اضطراب وقلق وفزع، وهو إلى ازدياد، حتى يأتي سليل رسول الله ﷺ قائم آل محمد لينقذ السفينة من جديد وليكون ربانها القدير الذي لا تتعرض معه السفينة إلى الغرق ولا إلى الضلال والتهيه، سيضع السفينة على الدرب اللاحب الصاعد إلى الله، درب سعادة الإنسان دنياً وآخرة. هم أولئك أنتمك صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.<sup>٢</sup>

أن أهل البيت ﷺ قد صالحوا وسالموا، وجاهدوا وحاربوا، وضحوا وبذلوا، وما كانوا في سلمهم غير حربهم، ولا في حربهم غير سلمهم، كانوا دائماً لله، ومن أجل الله، وعلى طريق الله. لم يكونوا يسلّون السيف إلا اضطراباً، وما كانوا يستكينون في أي ظرف من الظروف، يحميهم من ذلك العزة بالله وحده. ما كانوا في صلحهم ليستكينوا، وما كانوا في حربهم ولا نصرهم ليستكبروا، وهذا هو المسلم، وعلى هذا الطريق لا بد أن تكون شيعتهم وإلا فليسوا هم بشيعة.<sup>٣</sup>

١. خطبة الجمعة (١٨) ١٣ جمادى الأولى ١٤٢٢ هـ - ٣ أغسطس ٢٠٠١ م.

٢. خطبة الجمعة (٣٠) ٩ شعبان ١٤٢٢ هـ - ٢٦ أكتوبر ٢٠٠١ م.

٣. خطبة الجمعة (١٩١) ٧ صفر ١٤٢٦ هـ - ١٨ مارس ٢٠٠٥ م.

## الحسين عليه السلام ملهم الأحرار

أيام عاشوراء؛ أيام الصلابة الإيمانية التي لا ترتدُّ أمام رهبة الموت، وصنوف الأذى، وألوان المحن، وجسامة التضحيات، وعريضة الظلم والقهر، لأنها تنطلق من إرادة الصعود على طريق اللقاء بالله، لقاء روح يهرها أنها مؤهلة لأن تكبر قبسة النور فيها أو تتبلور هي شديداً عبر حركتها الصاعدة، وانفتاحها بما قدَّر لها من طاقة ذات حدٍّ محدود، على النور الإلهي غير المحدود وهذا هو معنى أن تلتقي بالله، وإلا فلا وصول من ممكن إلى المطلق الذي لا يحده شيء من الحدود.<sup>١</sup>

أيام عاشوراء؛ أيام عزّة الله لا تفهر، وإباء لا يُذلّ، وكرامة لا تهون، أيام هياها الله (لهذه الأمة، تعبٌ منها الشعور بالعزّة والكرامة والشموخ، وفخر الانتماء، وتتوضأ فيها نفسية الإنسان المؤمن من رواسب الغزو الإعلامي لداخل النفس لغرس المهانة والضعفة والانسحاق والعبودية للعبيد، هذه أيام الحسين سبط رسول الله ﷺ، ومجسد فولاذية شخصيته الكريمة، وثباته، ورباطة جأشه، وفوران غيرته على دين الله وحرماته وحدوده، ورأفته بالمؤمنين، ومكابرتة للظلم والظالمين، أيام تفتح لنا مدرسة الحسين عليه السلام على كل كنوزها ليعب منها

---

١. خطبة الجمعة (٥١) ٩ محرم ١٤٢٣ هـ - ٢٢ مارس ٢٠٠٢ م.

الفكر والروح، وتترسب في أجوانها الإرادة، ويصلب العزم، ويترسخ الإباء، وتنصح النية، ويشد الالتفاف بالقيادة التي يرضاها الله<sup>١</sup>. ويتساءل المتأملون لماذا الاهتمام بعاشوراء؟

والجواب: أننا محتاجون لكل ما في عاشوراء، وأن في عاشوراء كل ما نحتاجه. عاشوراء فيها الوعي الرسالي النقي، والقيادة الإلهية المرضية، وإخلاص القائد للدين والأمة والإنسانية، وضرب المثل الأعلى للعطاء المفتوح على كل التضحيات السخية الشريفة من قبل القيادة، والسمو الأخلاقي في المحنة، والمضي على الدرب المختار برشد إلى النفس الأخير، والقرار الحديدي<sup>٢</sup> المدرس والقائم على التقوى، وفيها بصيرة المواجهة السياسية والعسكرية، وفن اختيار التضحية في وقتها ومختلف ظروفها المناسبة. وفي عاشوراء حنان القيادة وشفقتها، وعشق النخبة والقاعدة وإن كانت صغيرة، وذوبان الجميع في الهدف، وتنوع المضحين، واجتماع ألوان التضحيات، ووضوح الهوية الإسلامية النقية في الكلمة والموقف عند الكبير والصغير<sup>٣</sup>.

الثورة الحسينية هي خاتمة الثورات المعصومة في تاريخ الأنبياء والمرسلين ﷺ، وهي الحلقة الواصلة بين ثورات هذا الخط سابقاً، وثورة الإمام المنتظر ﷺ المرتقبة من الثورات التي فجّرها ويفجّرها المعصومون ﷺ ويتولون قيادتها. وهذا يعطيها ومن خلال تجسيدها لكل سابقاتها من ثورات هذا الخط الكريم هدفاً وأخلاقية وإخلاصاً، وصدقاً وثباتاً وقيماً أهمية في ذاكرة الحاضر، وفيما يعنيه الاهتمام بالمستقبل.

الالتحام بكربلاء التحام بكل ثورات الرسل والأنبياء. الاسترفاد بكربلاء التي تتضمن كل الدروس لثورات الأنبياء وتحافظ على ميراث الأنبياء استرفاد

١. خطبة الجمعة (٥١) ٩ محرم ١٤٢٣ هـ - ٢٢ مارس ٢٠٠٢ م.

٢. المصدر نفسه.

من كل الرسل والأنبياء. الارتباط بكريلاء ارتباط بآخر حلقة من حلقات الرسالة المتنزلة من السماء، وبآخر كلمة وحي تنزلت على رسول الله ﷺ الارتباط بهذا... امتداد لخط الأنبياء، كريلاء تتمثل قيم كل الرسالات، وتتمثل ثورات الأنبياء كلها، وبذلك يكون البقاء لكريلاء هو بقاء لتاريخ الإسلام الذي جاء على يد آدم وامتدّ حتى رسول الله ﷺ.<sup>١</sup>

هذه الملحمة الكبرى توجت جهاد أمير المؤمنين عليه السلام لحماية الإسلام من التحريف السياسي الداخلي المستبغ للتحريف الشامل، وسحبت البساط من تحت الشرعيات المزعومة كذباً على الشريعة، وإذا كان أمير المؤمنين عليه السلام قد أعطى الدرس الخالد في مقابلة البغاة فقد أعطت ثورة كريلاء الدرس الآخر الخالد الذي يحتاج التشريع إلى أن يغني به عملياً ليبقى حجة لا تنكسر وهو مقابلة الطغاة.<sup>٢</sup>

إن إحياء ذكرى عاشوراء بالدرجة القوية والنشاط الديني الملون المكثف بالصورة الملفتة للنظر يحتاجها بقاء التشريع الذي أكدّه الإمام الحسين المعصوم عليه السلام. نقول هذا ونحن نردّ على المتسائلين عن التركيز على ثورة الإمام الحسين عليه السلام وإحيائها - بكم هائل من التضحيات والمواجهة العنيدة نظراً لحساسية هذا التشريع من ناحية عملية، ولاجتماع مصالح الطغاة من خارج الأمة وداخلها على تزويره وتغييبه.<sup>٣</sup>

النصوص والسيرة العملية لأكثر من معصوم التي ركزت على إحياء ذكرى عاشوراء دون غيرها، وأعطتها قيمة خاصة ولعل ذلك بلحاظ أن الخطر الأكبر الذي كان سيواجه الإسلام في مسيرته التاريخية الطويلة في مستقبل

١. خطبة الجمعة (٥١) ٩ محرم ١٤٢٣ هـ - ٢٢ مارس ٢٠٠٢م.

٢. المصدر نفسه.

٣. المصدر نفسه.



الأجيال إنما هو من الانحراف عن خط الإمامة الصحيح، وكثرة التزوير، وتزوير الشرعية السياسية أو المخالفة الصريحة لهذه الشرعية من قبل الوضع السياسي في الأمة، وأن خط الأنبياء والرسالات السماوية إنما يتهدده في مسيرته الطويلة هذا التحريف في مسألة الإمامة من الداخل بما لا يتهدده غيره، وذلك لاجتماع الدواعي والأطماع الدنيوية على اقتضائه، ولم تسلم حتى عصمة الأنبياء والعدل الإلهي عن الإنكار بانحراف خط الإمامة.<sup>١</sup>

الحسين عليه السلام مثال معصوم كامل للعقلية التوحيدية، والنفس الموحدة، ومنهج التوحيد وثورته وأخلاقيته وهده.

والإصلاح الذي تحدث عنه كلمته عليه السلام دائرته الأمة ابتداءً، ثم الإنسانية كلها بعد ذلك. وهو إصلاح شامل حسب إطلاق الكلمة لا يترك بعداً من أبعاد الأمة والإنسانية إلا استهدفه، وحاول إنقاذه من التخلف والفشل والزيغ، والتجميد، والعرقلة، وبطء النمو الصالح والانحراف.

وكان لا بد أن يواجه هذا الإصلاح الانحراف الخطير في السياسة الباغية التي كان لا بد أن تطيح بالإسلام من عقلية الأمة وشعورها وواقعها العملي، وتقضي على منابع العزة في داخلها، وتمرغ أنفها في الذل والهوان، وبذلك ينغلق باب الإصلاح الحقيقي الشامل على كل مصلح في الأمة يولد ولو بعد أجيال. فليس بعد ارتفاع الذين الحق من الأرض سبيل إصلاح، وفرصة نهوض.<sup>٢</sup>

هناك ثلاثة ألوان من القتال لا بد أن يضمها التشريع بين دفتيه، إذا نقص التشريع لونا من هذه الألوان الثلاثة كان مثلوماً.

فهناك ثلاثة ألوان من القتال، وثلاثة ألوان من الحفاظ على رسالات السماء، ثلاث محطات إذا أغفلت محطة واحدة منها ضاعت كل رسالات

١. خطبة الجمعة (٥١) ٩ محرم ١٤٢٣ هـ - ٢٢ مارس ٢٠٠٢ م.

٢. خطبة الجمعة (٤٣٣) ١٠ محرم الحرام ١٤٣١ هـ - ١٧ ديسمبر ٢٠١٠ م.

السماء، إحدى المحطات الثلاثة هي محطة كربلاء، قتال على التنزيل، قاد مهماته الضخمة رسول الله ﷺ في وجه الوثنية والكفر والشرك المناهض لأصل الإيمان والتوحيد، وهذا لا ينكره المسلمون، يأخذون به وبينون عليه، وقاتل على التأويل منه قسم تحمّل مهماته الصعبة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في وجه البغاة الذين تمرّدوا على الشرعية الحقيقية، وحرّفوا مفاهيم الكتاب وأحكامه ومعانيه، وهو القتال الذي قام به الإمام الحسن عليه السلام كذلك من موقع الحكم، ومن خلال مركز السلطة. وهذا القسم أيضاً يبني عليه المسلمون ولا ينكرونه، بل تستفيد منه الأنظمة الفاسدة؛ استفادة فيها تزوير، أما القسم الآخر فهو قتال الطغاة كيزيد بن معاوية الذي فرض نفسه على الأمة بقوة الحديد والنار من غير أي اعتبار لإرادة الأمة وإسلامها، وهو لون من القتال يحتاجه خط الرسائل للإبقاء على نقائه، وحماية له من التحريف من موقع القوة التي تحكم باسمه، وتخطط ضده هذا التحريف الذي بقي إلى اليوم يهدد الإسلام في أصل كيانه، وقد أوجد الحكم الأموي والعباسي رأياً فقهياً بحرمة الخروج على السلطان الجائر الذي لا يستمد شرعيته إلا من تغلّبه بالقوة، وفرض سلطانه بالبطش، بلا رجوع منه لدين الأمة ولا رأيها.

مسألة مواجهة الحكم البيهقي، الحكم الأموي والعباسي تحمّل مهماتها الإمام الحسين عليه السلام بكل كفاءة وجدارة، وهو درس لم يعطه الإسلام قبل عملياً، لم يتأكد هذا التشريع على يد معصوم قبل الإمام الحسين عليه السلام فكان لا بد أن يتأكد. وهذه المحطة، وهذا التحدي؛ تحدي الإسلام من موقع السلطة الجائرة هو التحدي الذي سيستمر مع الإسلام دائماً وأبداً حتى يأتي القائم عليه السلام<sup>١</sup>.



## المهدي المنتظر ﷺ المصلح الأكبر

يوم القائم ﷺ هو يوم من أيام الله الكبرى الذي ينتصر فيه لدينه، ويظهر في حكم الأرض عدله، ويعزّ أوليائه، ويذلّ أعداءه، ويقرّ عين المستضعفين من عباده، ويُري الجبابرة من عظيم قدرته، وظاهر قهره وسلطانه، وينشر من رحمته وهده وأمانه، وبركات رزقه، وعطاءات دينه ما تطمئنُّ إليه النفوس، وتأنس القلوب، وتهلّ الخواطر، وينصرف الناس عن التنافس على الدنيا وحقاراتها، والاقتيال ظُلماً، أو من أجل لقمة عيش شحيح سُلِّيت، وكرامة منقوصة هُدرت، وأمن غير آمن ضُيع، وحياة لا يفارقها الشقاء، ويخرجون من عبادة للطواغيت والشهوات تُغيّبُ العقل، وتقتل الضمير، وتسلب العزة، وتُميت الكرامة، وتُجفّف منابع الخير في النفس، وتطفئ النور فيها، وتستأصل منها الهدى، وتجتثُّ الأمل، وتذوي بمشاعر الرّوح، وتغلق عليها آفاقها؛ يخرجون من عبادة تأتي عليهم، وتفصل بهم عن غاية الحياة، وتجعلهم أسارى مُستنقع الأرض، وبمستوى حشرات وديدانها، وتقطع عليهم النظر إلى الآخر، وإلى أنفسهم وبارئهم، وتوصد دونهم طرق السعادة إلى عبادة الله الواحد الأحد التي ترتفع بأفق النفس، وتُحيي العقل، وتوقظ الضمير، وتبعث الرّوح، وتفجّر منابع الخير في القلوب، وتطمئنُّ لها النفوس، وتريح الحياة،

وتسعد الآخرة. عبادةً ينال بها الإنسان هُداه وراحته، وكرامته، ومستواه الرفيع، وهناءَ الحياة، ونعيمَ الآخرة، وتغزُّ نفسه، ويعظُم منها القدر، وتعلو القيمة، وتنتفع البصيرة، وتنضح السُّبل، وتنحَقِّ الغاية.<sup>١</sup>

يوم القائم ﷺ يحتاج إلى تحضير قوي، واستعداد كبير على مستوى بناء الفرد يختلف أبعاده، وبناء الجماعة كذلك، وإيجاد صحوة عامة في الناس يلتفتون ببركتها إلى عظمة ربهم، وقيمة أنفسهم، وسمو غاية الحياة، وتجعلهم يبحثون بجدٍّ عن المنهج الحق الذي يُخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن الكمِّ الهائل الحاذٍ من المشكلات التي تُؤرِّقهم، وتُقلق كلَّ الحياة إلى شاطئ الأمان، وعن القيادة الكفؤة الأمانة التي تُنقذهم من المأساة بعيداً عن التطلع لما في أيدي الناس، ولا تطلب أجراً إلا من الله الغني الحميد. ولو جدوا وأخلصوا في البحث فلن يدركهم عقل ولا وجدان ولا طلب مصلحة حقيقية على غير الإسلام منهجاً، والقائم ﷺ ومن يقوم مقامه في كل غيبته قائداً وهادياً وأميناً ودليلاً.<sup>٢</sup>

للإمام القائم ﷺ يومان؛ يوم ثورة، ويوم دولة. وكلُّ من اليومين يحمل مهاماً كبرى، ويحتاج إلى رجال. يوم الثورة يحتاج إلى رجال ذوي بأسٍ شديد، وقوة هائلة، وقلوب كزُبر الحديد، وفنون قتال عالية، وآلة حربية قادرة، وإلى سداد رأي، ونزاهة قصد، وسمو هدف، وفقه ووعي ورشد، وخُلُق إسلامي رفيع، وورع وتقوى لكي تبرهن الثورة بمواقف رجالها على رقي، وصدق التزام بأخلاق السماء، ورسالية عالية بما لم تعرفه الحروب الجاهلية القديمة والحديثة على الإطلاق، وعلى تميّز كبير في مستوى الرِّسالية والأخلاق والتقوى بالنسبة لكلِّ الحروب التي عرفها زمن الغيبة الكبرى حتَّى لو كان هدفها ومنطلقها

١. خطبة الجمعة (٤١٧) ١٠ شعبان ١٤٣١ هـ - ٢٣ يوليو ٢٠١٠ م.

٢. المصدر نفسه.

الإسلام، وتزيت بكثير من أخلاقه ورساليته وتقواه. وهؤلاء الرجال مولدهم وإعدادهم وجهوزيتهم قبل يوم الثورة.<sup>١</sup>

يوم الدولة يوم حاكمية الإسلام، ويوم فخره، وعدله، وتجليه، وبركاته، وأمنه وسلامه، وتمثيله لعدل السماء في الأرض، والعلم والحكمة والنزاهة، والروحانية المضيئة، والصدق، وسمو النفس، وعمق الوعي الذي تحدث عنه الرسل والرسالات، وهو اليوم الموعود فيه بغزارة خاصة متميزة من رحمة الله وألطافه العظيمة في الأرض. وعلى دولة القائم ﷺ أن تُبرهن على عطاءاتها الثرة وهداها واستقامتها وعدلها وبركاتها من أول الأيام. فعلى يد من تكون كل هذه الآثار والبركات والمعجز بعد الله؟ ليس لذلك إلا رجال صنعتهم الرسالة علماء، حكماء، حلماء، وعاء مجاهدين، ينتصرون على السيف والمال والشهوات والمناصب وكل الدنيا قبل يوم الظهور، وإن ازدادوا به عدداً وقوة ومكانة، وأمة تهتت للصبر على عدل الإسلام، والأنس لأحكامه، والتسليم لله، وقبول الحق، وطاعة الإمام ﷺ، والارتفاع إلى مستوى أفق الدولة على ارتفاعه وسموه. وكل ذلك إنما يكون الإعداد له والاستعداد قبل يوم الدولة والثورة.<sup>٢</sup>

من هنا تتحدد مسؤولية النخبة والجماهير المؤمنة بإمامة القائم ﷺ، ويوم الظهور، وهي مسؤولية البناء القوي، والإعداد الجاد، ورفع المستوى، وتنضيج الفكر، وتركيب النفس، وتنقية القلب، وتطهير الروح، وتعميق الوعي، وتوسيع الخبرة، وتصحيح وتقوية الإرادة.<sup>٣</sup>

غداً وتحملكم مسؤوليتكم من الإعداد والنصرة يُصنع العالم من جديد في كل أوضاعه الإنسانية في النفس والخارج من جديد على ضوء المنهج

١. خطبة الجمعة (٤١٨) ١٧ شعبان ١٤٣١ هـ - ٣٠ يوليو ٢٠١٠ م.

٢. المصدر نفسه.

٣. المصدر نفسه.

الإلهي القويم على يد أعرف عارف به ينتظره الضمير الإنساني وطال انتظاره من الأجيال، وتقضي به ضرورة الدين، وحاجة الواقع، ويُفضي العدل الإلهي إلى الإيمان به، والحكمة الإلهية، ووعد الدين الحق، وقوة الدليل؛ وذلك هو الإمام القائم عليه السلام الإمام الثاني عشر من كوكبة أهل العصمة من خلفاء خاتم الأنبياء والمرسلين محمد عليه السلام، وهو وارث علم الكتاب والسنة بلا نقص ولا تغيير والمجسد لإرادتهما تمام التجسيد.

وإن يوم القائم عليه السلام لهو يوم الرحمة العامة، والأمن الشامل، والعدل التام، والرخاء والرفاء، والاستقامة والكرامة، والمجد والسمو والرشد، والنور والهدى، والساداد.<sup>١</sup>

ما كانت الأرض تشهد ما تشهده اليوم من حكم الهوى والفساد والفوضى والاضطراب لو حفظت وصية رسول الله عليه السلام في ولي الله، والخليفة الحق بعد الرسول عليه السلام كما في موازين الكتاب، وضوابط السنة. وعندما يتحقق النصر لمهدي الأمة، ويملا الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، وتُشرق الأرض بضياء الإسلام، ونور ربها على يديه الكريمتين بفضل الله العظيم، سيتبين الناس مدى ما جنوه على أنفسهم، وما ضيعوه من هدى، وما خسروا من فلاح بتعطيلهم دور بيت النبوة والرسالة والإمامة كل هذا الوقت الطويل. وعندئذ ستحقق الدنيا أن الإسلام بلا حدود أرضية، وأن ولاته الحقيقيين، لا شريقون ولا غريبون، ولا مكبون، ولا مدنيون همّاً وأفقاً وسعةً ورحمة، وإنما هم للعالم كله، والإنسان على إطلاقه: لإنقاذه، سلامته، هدايته، رقيه، دنياه وآخرته، وأنهم أولى الناس بالناس، وأشدّهم رافة بهم، وحرصاً على أن يبلغوا بهم الكمال، وتحقق لهم السعادة؛ كانوا من بيض أو سود، من شرق أو غرب.<sup>٢</sup>

١. خطبة الجمعة (٥٦١) ١٨ شعبان ١٤٣٤ هـ - ٢٨ يونيو ٢٠١٣ م.

٢. خطبة الجمعة (٩٩) ١٩ ذي الحجة ١٤٢٣ هـ - ٢١ فبراير ٢٠٠٣ م.

مسار الإمامة مسارٌ ضروري ومسار أكيد يؤكد القرآن وتؤكدُه السنة، وتؤكدُه الضرورة وتؤكدُه حاجة العالم المستمرة إلى المعصوم، وما أنتم تجدون ما هي العذابات، ما هو الشقاء الذي يطفئ على هذا العالم، كيف يتمزق العالم؟ كم هو خائف؟ كم هو فقير؟ كم هو جاهل؟ كم هو شارد عن الحق؟ ولن يجمع هذا العالم على الخط اللاحب الصاعد إلى الله إلا القيادة المعصومة المنتظرة، اللهم عجل فرجه وسهل مخرجه.<sup>١</sup>

يحرم في ظل الانتماء إلى خط الإمامة تثقيف الأمة بثقافة غربية أو أي ثقافة أجنبية أخرى بديلة، ولذلك جرى ويجري التركيز دائماً على إمامة الإمام القائم ﷺ.<sup>٢</sup>

---

١. خطبة الجمعة (٣٠) ٩ شعبان ١٤٢٢ هـ - ٢٦ أكتوبر ٢٠٠١ م.

٢. المصدر نفسه.





## العلماء الصالحاء امتداد خط الإمامة

علماء الدين على هدى أئمتهم عليهم السلام - كل علماء الدين الصالحين - لا يستطيعون أن ينفصلوا عن الهم السياسي، وخاصة بعد انتشاره بين كل الفئات، وهذا لا يعني أن يتحولوا كلهم إلى محترفي سياسة، وأن تتحول السياسة بتفاصيلها اليومية مهمتها وغير مهمتها إلى خبزهم الثقافي اليومي ولا غير، وفي الوقت نفسه لا تكون السياسة عندهم فناً ترفيلاً لا يشغل إلا بالتظلمات البعيدة من دون أن يقولوا كلمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وليس مما يلتقي ووعيهم وتقواهم أن يستهدفوا إقلاق الساحة الوطنية والإسلامية والعالمية تشهياً، أو استخفافاً بدم الإنسان وأمنه، أو يعتمدوا هدم الجسور داخل أوطانهم، وسياسة الإضرار، كما لا يدخل في استعدادهم أبداً أن يقولوا لغير ما هو شرعي في دين الله بأنه شرعي كذباً على الله ورسوله ﷺ، وخيانة للأمانة التي حُمِّلوا إيّاها، وطلباً لمرضاة المخلوقين، وهم عبيدٌ محاوِجٌ<sup>١</sup>.

المجتمعُ يُمِيطُالب العلماء؟

١. بالنطق أو الصمت؟ صمتوا فأعبتكم، ونطقوا فغضبتكم، ماذا تريدون؟

---

١. خطبة الجمعة (٨٠) ٤ شعبان ١٤٢٣ هـ - ١١ أكتوبر ٢٠٠٢ م.

تريدون التدخل في السياسة أو الاعتزال؟ الحكومات تقول اعتزلوا، الغرب يقول عليكم الاعتزال، الخطط الأجنبية والمحلية في كثير من البلدان قائمة على قدم وساق من أجل إقصاء المسجد وتعطيل دوره في الحياة السياسية بالكامل، هل تشاركون في طرح الاعتزال للعلماء؟ قولوا لنا اعتزلوا. أتريدون التدخل أو الاعتزال؟ التدخل له ضريته على العالم وعلى المجتمع.

٢. أتريدون النطق المشروط أو الحر؟ قد يقول المجتمع للعلماء: انطقوا، قولوا كلمة الحق، تدخلوا ولكن بشرط أن توافق كلمتكم وموقفكم توجه الرأي العام أو النخبة المثقفة. اعرضوا هذا الشرط على الله، على رسوله، على الكتاب، على السنة. أمير المؤمنين عليه السلام لم يوافق على البيعة بشرط التقيد بمسيرة الشيخين. يا عالم انطق، وتدخل، ولكن لا تخالف رأينا!!! أشرط معقول؟ يرضاه عاقل؟ يرضاه دين؟ لا تخالف شرع الله، هذا شرط صحيح. اقتراح النطق المشروط مرفوض من قبل العلماء، ولنا مع خيار الحكومات، وعلى العلماء أن ينظروا إلى الحكم الشرعي وما يقتضيه؛ اقتضى السكوت فعليهم أن يسكتوا، اقتضى النطق فعليهم أن ينطقوا. هكذا إذا استطعنا الانسجام مع ديننا. الحكم الشرعي هو المنظور، وهو الحاكم، ومع تقديري لصفوف المؤمنين ولجماهير الأمة إلا أننا لا يكون لنا وزن ولا شأن عند الله حتى ندع لتشريعه.<sup>١</sup>

كثيراً ما تنقسم مجتمعات الناس إلى فئة المواقع السلطوية الكبيرة الجائرة، وفئة المواقع الشعبية المظلومة المنهكة، وأنت تجد من خلال هذا الواقع ظلماً هناك ومظلومية هنا، علماً مادياً هناك، وجهلاً مادياً هنا، قوة هناك وضعفاً هنا، أمناً هناك وخوفاً هنا، بذخاً هناك ومسكنة هنا، صحة هناك ومرضاً هنا، شوارع هناك وأتربة هنا، تجددك في عالمين، وتجددك وأنت في وطن صغير واحد في بيئة راقية مترفة وفي بيئة مسحوقة وملوثة، وبيئة مرض، بيئة فقر، بيئة جهل.

١. خطبة الجمعة (٢١٢) ١١ شعبان ١٤٢٦ هـ - ١٦ سبتمبر ٢٠٠٥ م.

فمع من يكون عالم الدين؟ وأين يجب أن يجد نفسه؟ وأن يجده الناس من هذا الانقسام؟ وقبل ذلك أن يجده ربّه؟

أيكون حيادياً؟ لا حيادية مع الرسالية في مثل هذا الانقسام. مع الترف والانحراف والظلم والبغي؟ هذا خروج عن الخط، وانقلاب في الذات. في خندق المحرومين والمظلومين؟ هذا هو المتعين. هذا الانحياز وبصورة إيجابية يدفع إليه حبّ الله، الطمع في الله، خوف الله، وذلك هو الذي يُصَبِّر عليه رغم ثقله وكلفته. وكلفة التخندق مع المستضعفين المحرومين كلفة مضاعفة، هي كلفة عداوة من القوي، واستهداف منه لمن انحاز للمستضعفين.<sup>١</sup>

إن المستضعفين والمحرومين الذين طحتهم الحياة أعصابهم متوتّرة، ودمهم يغلي، وقد يقلّ صبرهم، بل قد يخسرون صبرهم تحت وطأة الظروف، والمنحاز لهذا الصفّ يتعب، وقد تأتبه سهام الكثيرة وكأنه العدو، والظروف والصعوبات والإرهاق وطغيان المحنة، وتعاظم الفتنة يثير الأعصاب، وقد يُنسى، وقد يسبب الغلط، والخطأ الكثير، لكنّها المسؤولية التي فرضها الله على عباده وخاصّة من وضع نفسه على خطّ العلم والدين بصورة علنية. وهنا تكون النفس أمام امتحان كبير، هل تعادي المستضعف؟ هل تنتقم لنفسها؟ هل تتراخى في إخلاصها، في جهدها على خط خدمة المستضعفين؟ إن كانت تتعامل مع الإنسان فستفعل، وإن كانت تتعامل مع الله فستصبر وتتعالى.

وتدخل هنا أمور تزيد من حالة توتّر المستضعفين، منها ألاعب المستكبرين التي تستهدف الفصل بين المستضعفين ومن يخلص لهم. ويدخل على الخط كلمة غير واعية أو غير مسؤولة هنا أو هناك تصب في التحريض للنيل ممن قد يكون عادلاً بصدق وكفاءة وما خان أمانته، وما توانى عن المسؤولية التي آمن بها. إنه بمقدار ما صدق علم العالم وفهمه، وإيمانه وإحساسه بمسؤوليته ستجده مرابطاً مع

١. خطبة الجمعة (٣٦١) ٢٢ ربيع الأول ١٤٣٠ هـ - ٢٠ مارس ٢٠٠٩ م.

المستضعفين المؤمنين، وفي خندق واحد رغم كل اساءة وكل تحدي وتكبر وظلم فهو ما قامت عليه الحجّة من الله بالحركة تمنعه خشيته من التخلف.<sup>١</sup>

ماذا يعني تخنق العالم مع المستضعفين؟

لا يعني دغدغة مشاعر، ولا يعني كلمات رنانة، ولا يعني وعوداً كبيرة، إنما يعني أن يكون بعقله، وقلبه، وإمكاناته مع همّهم وقضاياهم العادلة، ومحتهم التي تكوي حياتهم وقلوبهم. أن يأخذهم الله لـلنفسه فيقف بهم عند طاعته، وإنما يعلمهم دائماً أن الطاعة لله، وعليهم أن يفصلوا عنه حال خالفت خطواته طاعة ربّه.<sup>٢</sup> المواقف ثلاثة أما أن نأخذ بالإسلام الاجتهادي، وأما أن ننتظر الإسلام الواقعي وظهور المعصوم عليه السلام، لنقدم لنا ذلك الإسلام، فعطل الإسلام، حتى ظهور المعصوم عليه السلام، أو نرجع إلى كل رأي اجتهادي، من أي مثقف من المثقفين، تعطيل الإسلام معلوم بالضرورة أنه غير جائز، والأخذ بالإسلام الاجتهادي هو ما دلت عليه النصوص الواردة من الأئمة عليه السلام، وما تقود إليه السيرة العقلانية، وما يقضي به العقل العملي.

الرجوع إلى الإسلام الاجتهادي من أي مستوى من المستويات مخالف لمقتضى العقل، العقل لا يرضى للجاهل أن يقود الجاهل، العقل يقول بتقليد الجاهل للعالم وليس بتقليد الجاهل للجاهل، والمثقف غير المختص في الدراسات الإسلامية، بالنسبة للدراسات الإسلامية عامي، ودقيق هو اصطلاح الفقهاء على مجموع الأمة بكل مستوياتها العلمية العملاقة بأنهم عوام من الناحية الفقهية، حيث لا الاختصاص لهم بها، وحتى الدارس بالدراسات الفقهية المعمقة إلى حد كبير، إذا لم يبلغ درجة الاجتهاد فهو من حيث المصطلح الفقهي عامي، وكذلك الفقيه عامي من حيث الطب، لماذا نستوحش من هذا الاصطلاح؟ هذا

١. خطبة الجمعة (٣٦١) ٢٢ ربيع الأول ١٤٣٠ هـ - ٢٠ مارس ٢٠٠٩ م.

٢. المصدر نفسه.

اصطلاح علمي دقيق صارم لا مجاملة فيه، الفقيه غير الطيب من حيث الطب عامي، من حيث الهندسة عامي، والمهندس المتضلع من حيث الفقه إذا لم يكن فقيهاً فهو عامي، فالعامي هنا جاهل بالإسلام، ولا يصحح العقل أن يرجع الجاهل إلى الجاهل، ويقلد الجاهل الجاهل، سيرة العقلاء وعرفهم أيضاً بعيد كل البعد عن الموافقة على أن تكون المرجعية للجاهل، وإنما تكون المرجعية للعالم، وهكذا النصوص ترفض مرجعية الجاهل.<sup>١</sup>

هناك مفاهيم إسلامية دقيقة غامضة لا يتم استنباطها إلا من خلال قدرة علمية وتخصص خاص، الأمة المسلمة لا يمكن أن تتوفر على المفاهيم النقية الدقيقة كلها عن طريق الاجتهاد، كما أن الأحكام الفرعية أحكام الصلاة والصوم والحج وما إلى ذلك... نحتاج إلى ملكة اجتهاد ونحتاج إلى مرجع ترجع إليه فيها، فإن المفاهيم الإسلامية الدقيقة ربما كانت الحاجة إلى المرجعية فيها أكبر.<sup>٢</sup> لا بد من مرجعية إسلامية، في المفاهيم الإسلامية، كما تحكم الضرورة بالمرجعية الإسلامية في الفروع الفقهية.<sup>٣</sup>

اعرفوا قدر فقهاءكم، وارتبطوا بخطهم، فهم النواب نواب إمامكم المعصوم عليه السلام وأئمة أهل البيت عليهم السلام هم الذين اختاروهم لكم وأوصوكم بهم وأوصوهم بكم.<sup>٤</sup>

يريد المناوئون لأمتنا، المعادون للإسلام من الخارج والداخل إسلاماً بلا فقهاء أفذاذ أمناء صالحين أتقياء ترجع إليهم الأمة في فهم الدين وفقه الشريعة، وتأخذ برأيهم في مسيرتها. وليس هذا فحسب، بل يريدون للأمة

١. خطبة الجمعة (٣٥) ١٤ رمضان ١٤٢٢ هـ - ٣٠ نوفمبر ٢٠٠١ م.

٢. خطبة الجمعة (١٥) ٢١ ربيع الثاني ١٤٢٢ هـ - ١٣ يوليو ٢٠٠١ م.

٣. المصدر نفسه.

٤. خطبة الجمعة (٣٢٣) ٢٥ ربيع الثاني ١٤٢٩ هـ - ٢ مايو ٢٠٠٨ م.

مراجع فاقدين للعلم والدين، أو للدين وحده، وهذا هو المفضل فيما يقصدون إليه، فإن العالم بلا دين أضرب على الإسلام والأمة ممن دونه، وهو أقدر على التغرير بالناس، وأملك لأدوات الهدم والتضليل باسم الإسلام.

وإذا وُجد مراجع لهم من العلم والتقوى ما لا يمكن للأمة أن تتغافلها، واستحال على الأعداء أن ينكروه، وأن يسقطوا حملته، فليكن هؤلاء فيما يخطط له أهل المكر بالأمة والدين مراجع في المسائل العبادية الفردية البعيدة عن المساس بمصلحة الاستتار والاستغلال والاستعباد التي يحرص المستكبرون وذبولهم على التمتع بها.<sup>١</sup>

الفصل بين الأمة وفقهائها المخلصين، وعلمائها العاملين، والتحجيم لدور هذه النخبة القيادية، ومحل الوصية المؤكدة من رسل السماء، وأئمة الدين، هدف خبيث ثابت عند المستكبرين العالمين وأذنانهم، وله الأهمية الكبرى فيما يخططون.

وعلى الأمة أن تعي ذلك وتعمل على إحباطه، بالإنشداد إلى من أمر الله) بالاطمئنان إليهم، وأخذ الدين منهم، ومتابعتهم ومسايرتهم، والتخندق معهم في خندق الإسلام المنتصر بإذن الله.<sup>٢</sup>

إن انشداد جماهير الأمة وشبابها وشاباتنا وناشئتها بالخصوص لفقهاءنا وعلمائها الواعين الصادقين المخلصين، وهم الحماة الحقيقيون لدينها واستقلالها ومصالحها لأشدّ إيلاًماً لجبهة المستكبرين في الأرض والمفسدين فيها من كل أمر آخر.<sup>٣</sup>

١. خطبة الجمعة (٣٢٣) ٢٥ ربيع الثاني ١٤٢٩ هـ - ٢ مايو ٢٠٠٨ م.

٢. المصدر نفسه.

٣. المصدر نفسه.

## الإسلام والسياسة

هناك سياستان: سياسة دنيوية وسياسة أخروية. ولا أعني بالسياسة الأخروية التي تنصرف بالإنسان للآخرة عن الدنيا، وإنما هي تلك السياسة التي تعمّر الدنيا وتصلح الدنيا وتنشر الأمن والسلام في الدنيا، وتحول الدنيا إلى جنة من حيث ربطها بالنظر إلى الآخرة، وتأسيس الحركة فيها على أساس من القيم الإلهية العليا العادلة.

وأما السياسة الدنيوية فهي التي تقتصر حركة الإنسان في الأرض في إطار شهوات الطين، وتحول الحياة صراعاً مريراً على هذه الشهوات والملذات الساقطة، وتستبيح كل جرم في سبيل الشهوة واللذة المحرّمة. السياسة الدنيوية لا تتورّع عن فعل أي شيء في سبيل مصالحها المادية، لاعتن زرع روح الاقتتال والفتن المدمّرة، ولا عن أي جريمة أخرى تمر بخاطر الإنسان.<sup>١</sup>

يلتقي الإسلام والسياسة موضوعاً، وموضوعهما معاً هو الإنسان وعلاقته بنفسه، وبربه وبالأخرين - هكذا أرى - ولتقيان كذلك وظيفة إذا كانا على خط واحد، وإذا كان أحدهما صاعداً، والآخر نازلاً تقاطعا وتعارضا في أكثر

---

١. خطبة الجمعة (٢٣٢) ٢٥ محرم الحرام ١٤٢٧ هـ - ٢٤ فبراير ٢٠٠٦ م.



الموارد وأهمها من حياة الإنسان وشؤونه، ومصالحه، وأهدافه، وعلاقاته، وأخلاقياته، وفكره، وهمومه، ومشاعره.<sup>١</sup>

قد جاء الإسلام يصوغ الإنسان، ويقود الحياة، ويبني مجتمعاً، وينشئ أمة، ويؤخذ الناس على طريق التوحيد، ويكملهم بعباءات هذا الطريق، ويقيم عدل الله في الأرض، ويحييها بتعاليم الوحي، ويجعلها مشرقة بنور السماء. وقيادة الحياة، وبناء المجتمع، وإنشاء الأمة وتوجيه الناس وصياغتهم؛ كل ذلك محل اشتغال السياسة.<sup>٢</sup>

مهمات السياسة في الإسلام تتجاوز هذه الحياة الدنيا وتأخذ على عاتقها إعداد الإنسان للآخرة، كان لا بد أن يتدخل الإسلام في السياسة. الإسلام يتدخل في السياسة ليصوغ الإنسان - المجتمع والفرد - والرسول - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - صحيح جداً أنهم جاؤوا ليعطوا أماناً، وتقديماً إقتصادياً وعلمياً وعسكرياً وفي كل مجال، ولكن كل ذلك من أجل ذات الإنسان، وأن ينصاغ له كماله، وأن تستوي ذاته، وأن يكون الواعي المرتبط بالله، المستجيب لأمره ونهيه، لأنه لا يمكن له أن ينصاغ عظيماً جميلاً، إلا على طريق أمر الله ونهيه، وعلى طريق مرضاة الله تعالى.<sup>٣</sup>

اعتزال الإسلام السياسة خرافة، وتقول عليه بغير حق من السياسة، وبدافع سياسي معاد محض، ربما أدى إلى تصديق برئ عند السذج. وعدم تدخل السياسة في الدين افتراء وزور مكشوف إذ لا يسع السياسة إلا أن تتدخل في شؤون الدين وهي تتحد معه موضوعاً، وتنسجم معه أو تعارضه في الوظيفة. فكلمة «ما لله لله وما لقيصر لقيصر» كلمة كاذبة ساذجة، أو سياسية ماكرة يراد

١. خطبة الجمعة (٩٠) ١٥ شوال ١٤٢٣ هـ - ٢٠ ديسبر ٢٠٠٢ م.

٢. المصدر نفسه.

٣. خطبة الجمعة (٢) ١٩ محرم ١٤٢٢ هـ - ١٣ أبريل ٢٠٠١ م.

بها تخدير المتدينين على أساس الإيهام بعدم وجود تعارض بين المساحة التي يتناولها أمر الله ونهيه وتشريعاته، والمساحة التي يحكمها قيصر من حياة الإنسان ونشاطه، بعد التسليم أن لقيصر أن يستقل عن الله في أي أمر من الأمور. والحق أن ليس لقيصر في الكون كله ملكاً يستقل به، وأن أمر الله ونهيه وتشريعاته تعم حياة الإنسان، فكلما جاء أمر أو نهى على خلاف ما لله من أمر ونهى في أي نقطة من حياة الإنسان ووجوده كان ذلك مكابرة لله، وتمرداً على شريعته.<sup>١</sup>

الإسلاميون اليوم قسمان: قسم يرفض الديمقراطية رفضاً تاماً ويلجأ إلى خيار القوة، ولا يختار على السيف الديمقراطية، ووراء ذلك خلفية من واقع موضوعي عاشه أولئك الإسلاميون، رأوا ظلماً لا يكف، واستهتاراً بالإسلام لا يفتروا، وتكالباً على محاربة الدين، وعدم إصغاء للكلمة، واستكباراً فاحشاً على الله (في الأرض، وانضم إلى ذلك ما انضم إليه فصاروا من وراء ذلك كله لا يختارون غير السيف. لا نصصح موقفهم، ولكن إسهام الوضع الاستكباري في الأرض في لجونهم إلى الأرض والبطش والعنف الخارج عن الحدود والذي يتحملون مسؤوليته ووزره - أقول - إسهام جهة الاستكبار وجهة الظلم في ذلك ربما كان أكبر.

القسم الآخر من الإسلاميين لا يرى الديمقراطية ديناً، ولا مجسدة للحق دائماً، ولا كاشفة عن الواقع، لكنه يراها آلية لحسم النزاع في الشأن العام، ولهذا فهذا القسم يأخذ بالديموقراطية ويلتزم بنتيجتها ويقدمها على العنف. القسم الأول ينس، والقسم الثاني لا زال يجرب. وستكثر حركات العنف والإرهاب كلما تفاقم الظلم، وكلما أهمل شأن الكلمة، وأحبط الناس بالنسبة لفاعلية النصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمطالبة السلمية الهادئة،

١. خطبة الجمعة (٩٠) ١٥ شوال ١٤٢٣ هـ - ٢٠ ديسمبر ٢٠٠٢ م.

هذا ليس في بقعة من الأرض وإنما في كل الأرض.<sup>١</sup>  
القضية الأم التي تتأسس عليها بنية الحياة، وتقوم عليها مثل قضية الإمامة والشورى هي قضية التوحيد، فهل نجد تأصيلاً للديمقراطية في الإسلام أو لا نجد تأصيلاً؟ الديمقراطية بمعناها الغربي لا نجد لها تأصيلاً في الإسلام وإنما تأصيلها يتنافى مع التأصيل الإسلامي تماماً، لكن هذا لا يعني أن الإسلاميين يعادون الديمقراطية بكل معانيها.<sup>٢</sup>

المسلمون لا يتمتعون من الناحية التشريعية، والصلاحيات الدينية بأن يقبلوا الحكم الإسلامي أو لا يقبلوه، وإنما عليهم قبوله، ليس لهم أن يتخبروا بين نظام سياسي إسلامي، وبين نظام سياسي علماني مثلاً، وكذلك الأمر بالنسبة إلى شخص الحاكم عند حضور المعصوم عليه السلام، أو وضعه عند غيابه، فعند حضور المعصوم يكون متعيناً، وفي حال غيابه تكون أوصاف الحاكم مأخوذة من الشريعة.<sup>٣</sup>

خيارات الشارع الإسلامي خيارات محرجة ومتحدية لغير الإسلاميين في الشأن الديمقراطي، كل غير الإسلاميين لا تسرهم الديمقراطية الحقيقية اليوم، ولا يصبرون على نتيجتها في البلاد الإسلامية، لأن نتيجة ديمقراطية حقيقية في الشارع الإسلامي هي الإسلام، وكل غير الإسلاميين ولا أفرق بينهم لا يصبرون على هذه النتيجة، ويواجهونها بكل الإمكانيات.<sup>٤</sup>

الإسلاميون لا يخافون من الديمقراطية، ولا يحتاجون إلى أن يتقبلوا عليها لو وصلوا من خلالها إلى أي موقع من المواقع، بل ستمتهم تجربتهم من

١. خطبة الجمعة (٢٩٦) ٢٦ رجب ١٤٢٨ هـ - ١٠ أغسطس ٢٠٠٧ م.

٢. خطبة الجمعة (١٨٢) ٣ ذي الحجة ١٤٢٥ هـ - ٤ يناير ٢٠٠٥ م.

٣. المصدر نفسه.

٤. خطبة الجمعة (٢٩٦) ٢٦ رجب ١٤٢٨ هـ - ١٠ أغسطس ٢٠٠٧ م.

خلال الديمقراطية على أن يتقدموا كل الصفوف، وأن يكونوا رائد هذه الأمة في أعين كل أبنائها. فحفظوا الإسلاميين تنامي دائماً مع التطبيق، ومن هذا المنطلق يخاف كل الآخرين أن تقوم تجربة إسلامية صادقة على الأرض.<sup>١</sup>

أما غير الإسلاميين فقد دُبحت الديمقراطية على أيديهم أكثر من مرة، وقد طُلقت أكثر من مرة، ماذا فعل العلمانيون في الجزائر بالديمقراطية عندما شارف الإسلاميون على تحقيق النصر؟ وماذا تفعل الجماهيريات العربية وهي تُحوّل المسألة السياسية من مسألة انتخابات إلى مسألة وراثية؟ ماذا فعلت باكستان على يد مشرف؟ ماذا فعلت تركيا مع أربكان عندما شارف على النجاح السياسي؟<sup>٢</sup>

نحن مع التحالفات السياسية المدروسة النافعة شعبياً والمقدّرة للحالات الموضوعية بدقة والتي لا تخرج على مصلحة الشعب ولا على مصلحة دينه ومقرراته، وندعم هذه التحالفات إذا كانت تصب في صالح الشعب وتنفيد بالإسلام.<sup>٣</sup>

التحالف السياسي هل هو بشرط التخلي عن الدين؟ أيهما المشروط بعدم الإضرار بالآخر؟ الدين مشروط بعدم الإضرار بالتحالف السياسي، فإذا أضر الدين بالتحالف السياسي نرمي بالدين؟ أو أن التحالف السياسي مربوط بعدم الإضرار بالدين وأن أي تحالف سياسي قيمته صفر وندوسه بالأرجل إذا خالف دين الله؟ أيهما تقبلون؟ وكل التحالفات السياسية القائمة كما تعرفون هي تحالفات آتية لا تثبت عند إحساس هذا الطرف بالضرر منها، أو ذاك الطرف، وكل ضرر مقبول إلا الضرر بالدين.<sup>٤</sup>

١. خطبة الجمعة (٢٩٦) ٢٦ رجب ١٤٢٨ هـ - ١٠ أغسطس ٢٠٠٧ م.

٢. خطبة الجمعة (٨٠) ٤ شعبان ١٤٢٣ هـ - ١١ أكتوبر ٢٠٠٢ م.

٣. خطبة الجمعة (١١٤) ٥ ربيع الثاني ١٤٢٤ هـ - ٦ يونيو ٢٠٠٣ م.

٤. المصدر نفسه.

الإسلاميون الواعون المتخلفون بأخلاق الإسلام، لا يرفضون الحوار أسلوباً لإحقاق الحق، والمصير إلى العدل في العلاقات الإنسانية، وتبادل المصالح المادية بين مختلف بلدان العالم، ولا يعادون شعوباً أخرى بكاملها، ولا يريدون سوءً بالآخر، ولكنهم يرفضون العدوان الأجنيبي ويقاومونه، ولا يمكن لهم أن ينسوا القيمة العالية لحضارتهم الإسلامية، أو يتخلوا عن الإخلاص لها والوفاء بشروط الانتماء في ظل أي ظرف من الظروف، وتحت لغة الوعد والوعيد، والإغراء والتهديد.<sup>١</sup>

المشكلة هي أن الأنظمة السياسية ذات التوجه والعقيدة والهدف والأرضية غير الإسلامية في البعد السياسي، وغير الديمقراطية والتي تلبس لباس الإسلام أو لباس الديمقراطية حملت نفسها أمام شعوبها والعالم ما لا يمكن أن تتحملته، وتلتزم به بحسب طبيعتها، ووجدت من لباس الديمقراطية لباساً أطول وأعرض منها بكثير، فضلاً عن لباس الإسلام، وهو الأطول والأعرض والأرفع من كل الأطروحات، والإسلام الذي له من خصائص الرقي والامتياز ما لا يمكن أن يسابق من أي طرح أرضي، الإسلام الذي يفرض على من رفع شعاره مستوى عالياً جداً من العقل والروح وكل الأبعاد الإنسانية الكريمة، ويفرض عليه مسؤوليات ضخمة لا يحتملها في الناس إلا القليل.<sup>٢</sup>

ليعلم المعارضون السياسيون باسم الإسلام في أي مكان أنهم لن يقدموا للإسلام، ولا للمسلمين شيئاً يُذكر ما لم يضعوا جماهير الأمة على طريق الإسلام الواضح، ويعملوا على تربيتها التربية الإسلامية الحقّة، ويوفّروا لها رؤية وبصيرة وهدفاً وأخلاقية إسلامية صدقاً وحقاً. وليعلم الحريصون على سلامة الدين وبقائه، والذين تتمزق نفوسهم لأنواع الفساد المستشري في الأمة

١. خطبة الجمعة (١٩٦) ١٣ ربيع الأول ١٤٢٦ هـ - ٢٢ أبريل ٢٠٠٥ م.

٢. خطبة الجمعة (٣٦١) ٢٢ ربيع الأول ١٤٣٠ هـ - ٢٠ مارس ٢٠٠٩ م.

أن فساد السياسة فساد لكل شيء، وأن علاج الفساد السياسي ضروري لعلاج الساحات الأخرى من حياة الأمة وواقعها، وغير الدين لا تصلح به السياسة.

من أين جاء الفساد في السياسة؟ من تخلي الساسة بقدر وآخر عن الدين، ولو وصلت ساسة تحت أي اسم إلى مواقع الحكم والقوة في أي مكان وزمان، ولم يكونوا على دين صحيح رصين لعادت الحال إلى ما كانت عليه من فساد وربما وجدت أكثر. إذا لم نرب أنفسنا وشعوب الأمة على الدين فلنسا على طريق الإصلاح أساساً.<sup>١</sup>

كل التوافقات العملية عندنا لا يمكن أن تكون ممراً لقبول المساس بقداية الإسلام وتشويهه، وإنقاص قيمته، والتقول عليه، وغش جماهيره في فهمهم له. لو قدّمتم لنا دولة لننسى الإسلام لا ننساه، ولا أدري ماذا قدّم هؤلاء لنا من جميل ليمنوا به علينا، والإسلاميون مبدئيون، والمصلحة والسياسة عندهم لا تنفصل عن نظر المبدأ، ولا تخرج عن مقرراته. نحن عبيد الإسلام.<sup>٢</sup>

الظلم ظلّ لا يفارق أي نظام أرضي من أي لون وبأي صيغة وتحت أي اسم إذا كان لا يعير اهتماماً بشريعة الله. أي نظام لا يعير اهتماماً بشريعة الله لا يمكن أن يفارقه الظلم. وأقول لكم: سلب اللقمة مشكلة لا تستقر معها حياة المجتمعات، لكن إسقاط الدين مشكلة أكبر، وهي تهدم الحياة، ولقد أسقطتم الدين في أكثر من نداء ومقال حين أكّدتُم أن ليس للدين أي دور في قضايا الحياة. والذين لم يدركوا ضرورة الدين حتى من ناحية الحفاظ على مصالح الدنيا ولا استقرار الحياة الدنيوية للمجتمعات ربما علّمتم الحياة بعد حين أن لا غنى لاستقرار الأرض وحفظ الحقوق عن دين الله.<sup>٣</sup>

١. خطبة الجمعة (٣٦٦) ٢٨ ربيع الثاني ١٤٣٠ هـ - ٢٤ أبريل ٢٠٠٩ م.

٢. خطبة الجمعة (٢٩١) ٢١ جمادى الثاني ١٤٢٨ هـ - ٦ يوليو ٢٠٠٧ م.

٣. المصدر نفسه.

كما للآخرين - كما يرون - أن يرفضوا سلطة الفتوى والحكم الشرعي والإسلام، وأن يعطوا لأنفسهم الحق في التعبير عن ذلك على مستوى الصحافة العامة، وأن يختاروا العلمانية لا غير، وأن يسقطوا الإسلام فإن لغيرهم أن يؤمن بحاكمية الله، ويكفر بحاكمية الطاغوت، وأن يلتزم بما يفهمه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من وجوب الأخذ بهما في كل مساحة الحياة، وأن يعبر عن ذلك. نحن نتعاضد مع الأنظمة بأمر الدين ولكن إيماننا إنما هو بنظام الإسلام. من رضي فليرض ومن لم يرض فلا يرض.<sup>١</sup>

لو قدر المؤمن أن يملك الدنيا بكاملها - فضلاً عن توجع وآخر للرأي العام - ما اغتر بها. نحن تلامذة علي عليه السلام. إذا كان هناك من يركض وراء الدنيا ووراء الحكم فإن المؤمن الحق ليخاف من الحكم، وإنما سعيه للإصلاح، وإذا حكم حكم بشعور مرّ بالمسؤولية الكبرى، ومبدأيتنا ليست ظرفية.<sup>٢</sup>

الإسلاميون لا تحول اتجاههم الظروف، الإسلاميون يستندون إلى قاعدة صلبة، إلى مبدئية مكينة، إلى إسلام حق، وهم يعرفون كيف يتصرفون مع الظروف، وكل ذلك من منطلق الإسلام. وإذا سألوهم عن تبدل الأولويات فإننا نسألهم عن تبدل الأولويات، فهل يريدون من شتمهم للإسلام من هجمتهم على الإسلام أن يتقربوا لأحد بهذا؟ وإن اتجاههم بدأ يتحول، على أننا نقول بأن سكوتهم عن الإسلام نعرف منه أنه ليس استراتيجياً.<sup>٣</sup>

قالوا ظلماً وزوراً بأن الإسلام أخلاقيات وعبادة ومسألة ضمير فحسب، والحق أن كل أسس النظام السياسي والقضائي والاقتصادي والإداري والتربوي والاجتماعي، وكل نظم الحياة الإنسانية الأخرى تغني بها النصوص

١. خطبة الجمعة (٢٩١) ٢١ جمادى الثاني ١٤٢٨ هـ - ٦ يوليو ٢٠٠٧ م.

٢. المصدر نفسه.

٣. المصدر نفسه.

والقواعد الإسلامية الثابتة، مع عدد وافر من التطبيقات والفروع، وقد ترك الإسلام للقادرين على الاجتهاد - لا المتطفلين على العملية الاجتهادية - أن يواجها الوقائع المستجدة باجتهاد فني علمي رصين أمين منضبط يتحرك في إطار الثابت والقواعد الإسلامية العامة المقررة. كما ترك الإسلام للاختصاصات العلمية المختلفة أن تتقدم بعلم الإدارة والسياسة والاقتصاد والاجتماع وغيرها من العلوم النافعة.<sup>١</sup>

ضرورة التفريق بينما هو المذهب السياسي وما هو علم السياسة، أو المذهب الاقتصادي وما هو الاقتصاد مثلاً. فالمذهب يرتبط بتقدير العدل والمصلحة مما يتصل بحاضر الإنسان ومستقبله، الدنيوي والأخروي، وفرده مجتمعه، وجسمه وروحه، وطبيعة تكوينه ودقائق ذاته، وموقعه وغايته، ومشتركات نوعه ومفترقاته. أما العلم فيتصل باكتشاف القوانين بما يطور من آلية الإنسان وأساليبه في السيطرة على الظروف المحيطة به، وتمكينه من تحسين أوضاعه العملية، والتغلب على مشكلات حياته، والتقدم بمستوى معيشته، والوفاء بحاجات بدنه وراحته وحمايته، وعلاج أمراضه من جسمية ونفسية وعقلية.<sup>٢</sup>

والملاحظ أن انفصال الحركة العلمية المتقدمة عن المذهب السياسي والاقتصادي والتربوي السليم مثلاً، يضاعف من مشكلات الإنسانية ويؤزمها. كما أن تعطل الحركة العلمية المادية يجعل الأوضاع المعيشية راكدة متخلفة، ويوجد عدداً كبيراً من الأزمات الصحية والاجتماعية وغيرها، على أن هذا التعطل يمثل تخلفاً واضحاً عن المسار الإسلامي الصحيح وضروراته الثابتة، ومنهجه التربوي والسياسي والاقتصادي وسائر مناهجه التفصيلية القويمة. الإسلام يصير دائماً على التقدم في الحركة العلمية المادية وهو يكيّف هذه

١. خطبة الجمعة (١٣٨) ١ ذي الحجة ١٤٢٤ هـ - ٢٣ يناير ٢٠٠٤ م.

٢. المصدر نفسه.



الحركة العلمية المادية تربوياً بما يصب في صالح الإيمان وبناء الإنسان.<sup>١</sup> تسمعون عن حكومة الفقيه السياسية، وعن مرجعية العلماء الاجتماعية أن في ذلك رجوعاً إلى طاغية، لا يسمع رأياً، ولا يأذن بكلمة. هكذا يُصوّر الفقيه الحاكم، ويُصوّر العالم إذا تصدر مسألة اجتماعية: إنه طاغية لا يسمع رأياً، ولا يأذن بكلمة، ولا يجوز عليه نقد، استبداد كامل في الرأي، قلة خبرة، معبود من دون الله، مؤله، مصنّم، قداسة كاذبة، كل هذا تُوصف به مرجعية الفقيه السياسية ومرجعية العالم الاجتماعية. لو حصل هذا، وأن حكومة الفقيه تُلازمها كل هذه الأوصاف والعيوب، وتُبرأ منها حكومة غير الفقيه، فإذا لا بد أن يكون مردّ هذه العيوب والسلبيات في حكومة الفقيه السياسية ومرجعية العالم الاجتماعية إلتى ما أخذ فيه من شرط العلم بالدين والتقوى، فمعنى ذلك أن الشرطين المتميزين الذين أخذنا في حكومة الفقيه وهو أن يكون عالماً في الدين، وعلى تقوى شديدة من الله تبارك وتعالى، هما العلة وراء انحرافات الفقيه، وراء استكبار الفقيه، وراء تآله الفقيه، استبداد الفقيه، طغيان الفقيه.

هل ترى من تناسب بين شرط العلم وشرط التقوى المأخوذين في حكومة الفقيه وبين كل هذه النتائج السلبية؟<sup>٢</sup> أما الجهل، أما الفسق، أما التساهل في الدين فينتج تواضعاً، ويُنتج سماعاً للرأي الآخر، ويُنتج خبرة وكفاءة ويُنتج تساهلاً مع الناس<sup>٣</sup>؟

بلاء الأنبياء ليس في الأكثر هو بلاء أمراض، مسؤولياتهم ضخمة وهم عند مسؤولياتهم، وكلما كبرت المسؤولية، وكان صاحبها قائماً بما تفرضه كلما كثر أعداؤه واشتدت محنته. وليس أكبر من مسؤولية الأنبياء، وليس من مسؤولية يمكن أن تجمع أعداء للشخص كما تفعل مسؤولية الأنبياء

١. خطبة الجمعة (١٣٨) ١ ذي الحجة ١٤٢٤ هـ - ٢٣ يناير ٢٠٠٤ م.

٢. خطبة الجمعة (٢٤٩) ٤ جمادى الثاني ١٤٢٧ هـ - ٣٠ يونيو ٢٠٠٦ م.

التي تجعلهم في مواجهة مكشوفة وحادة مع الطغاة.<sup>١</sup>  
خطواتنا ومواقفنا وكلماتنا إما أن تكون ناتجة عن عقل ودين، وإما أن تكون ناتجة عن عاطفة وانفعال؛ انفعال بشهوة داخلية، بإغراء خارجي، بوعد، بوعد. المواقف الانفعالية والاسترسال في المواقف، وتغيب العقل نتيجة السوء، وحيث يقوم الموقف على أرضية من عقل وعلى أرضية من دين وأرضية من تفكير في العاقبة، وما تنتجه الكلمة، حين تنطلق المواقف عن المقارنات والموازنات الخارجية الموضوعية مع الأخذ بمبادئ الدين، وأحكام الشريعة ومقتضى الحكمة حينئذ تأتي المواقف قوية وثابتة ومؤدية إلى نتائج كريمة.<sup>٢</sup>  
«يا علي<sup>٣</sup> إن من اليقين أن لا ترضي أحداً بسخط الله...»<sup>٤</sup> قاعدة دعونا نلتقاها من رسول الله ﷺ، نفعلها في حياتنا، نبني عليها مواقفنا، علاقاتنا، صداقاتنا، عداواتنا، أن لا ترضي أحداً بسخط الله.<sup>٥</sup>

١. خطبة الجمعة (٢٦٠) ٢ ذي القعدة ١٤٢٧ هـ - ٢٤ نوفمبر ٢٠٠٦ م.

٢. خطبة الجمعة (٢٤٢) ١٤ ربيع الثاني ١٤٢٧ هـ - ١٢ مايو ٢٠٠٦ م.

٣. تحف العقول: ٦.

٤. خطبة الجمعة (٢٤٢) ١٤ ربيع الثاني ١٤٢٧ هـ - ١٢ مايو ٢٠٠٦ م.



## التفقه في الدين

عندما يقول الإمام عليه السلام: التفقه في الدين. ما هو التفقه في الدين؟ أن تكون لك رؤيتك الكونية الصادقة الواعية المطابقة للواقع، بأن توحّد الله (وترد الأمور كلها إليه، أن يكون توحيدك شاملاً صادقاً على مستوى الذات وعلى مستوى الصفات وعلى مستوى الفعل لله) وعلى مستوى العبادة وعلى أي مستوى من المستويات التي يأتي عليها التوحيد.<sup>١</sup>

التفقه في الدين يعني أن تتوفر على رؤية واضحة للمفاهيم الإسلامية، وأن تعرف مقاصد الإسلام والخطوط العريضة في أخلاقية الإسلام، وما يهم الإسلام من الأهداف الكبرى التي لا يمكن التضحية بها. من التفقه في الدين أن تعرف هذا الترابط المكين الشديد بين وحدات النظام الإسلامي المتكامل المتناسق، من التفقه في الدين أن تعرف دوره في الحياة ورسالته في الناس وأنت تعيش هذه الرسالة وتعيش هذا الدور في حياتك كلها فكرياً، شعوراً، عملاً.<sup>٢</sup>

من التفقه في الدين أن تعرف دقة الأحكام الإسلامية في الفروع، في كل عمل، في كل حركة وسكون، وأن لا تقدم - لهذه الدقة ولهذه المعصومية

---

١. خطبة الجمعة (٢٥) ٣ رجب ١٤٢٢ هـ - ٢١ سبتمبر ٢٠٠١ م.

٢. المصدر نفسه.

ولهذه العدالة في الحكم الإسلامي وأنه من حكم الله ( - أن تقدّم عليه أي حكم آخر.<sup>١</sup>

من التفقه في الدين أن تعرف ربطه بين الآخرة والأولى وأنه يوجد التكامل والانسجام والتفاعل المتكامل بين ما هو للدنيا وبين ما هو للآخرة، ولا يحدث انقسام في الإسلام بين تشريعاته للدنيا وبين تشريعاته للآخرة، كل هذا وغيره هو من التفقه في الدين، وعند توفر الشخصية على هذه الرؤية، على هذا التفقه، يكون قد توفر على انطلاقة روحية وعقلية صحيحة متينة، تضمن له السلامة حين يعود لها في سلوكاته، في تصوره، في مشاعره، في علاقاته، بما هي قاعدة ثابتة متأصلة يرجع إليها كل حين، يراجعها فيما يصح وما لا يصح، فيما هو خير، فيما هو شر، فيما هو هدى فيما هو ضلال.<sup>٢</sup>

التوحيد قضية إذا تعلق بها الخطأ سرى إلى كل المساحات والمستويات، وأصاب الحياة كلها بالتشويه، وأفقد المسيرة البشرية بكاملها صوابيتها، وتحولت كل النعم بيد الإنسان إلى نقم؛ ذلك لأن الحساب أكثر ما ينبغي أن يتجه إليه هو الغاية، وكل الخير ليس بخير إذا كانت عاقبته النار، وكل الشر ليس بشر إذا كانت عاقبته الجنة. ضلال الغاية لا يغني عنه هداية المقدمات، فمن توفرت بيده كل مقدمات النجاح إلا أنه ضلّ الغاية، وركب مركب المقدمات إلى سوء فقد خسر. والعقل في كل الأمور الثانوية الصغيرة لا يعد شيئاً في قبال الجهل والسفه في أمر التوحيد، بل لا ينتهي الأمر إلى العقل في القضايا الأخرى بعد الجهل في هذه المسألة.<sup>٣</sup>

حينما نجعل مسألة التوحيد، وتختلّ رؤيتنا المتعلقة بها لا تنتهي إلى علم،

١. خطبة الجمعة (٢٥) ٣ رجب ١٤٢٢ هـ - ٢١ سبتمبر ٢٠٠١ م.

٢. المصدر نفسه.

٣. خطبة الجمعة (١٨١) ٢٥ ذي القعدة ١٤٢٥ هـ - ٧ يناير ٢٠٠٥ م.

ولا هدى، ولا نور. ماذا تقولون في الرجل يُبدع في الطب، في الهندسة، في الاجتماع، في النفس، في أي علم من العلوم، تكون له الوفرة من الاكتشافات والاختراعات لكنه - وبعد ذلك كله - ينحني خاضعاً لبقرة، يتوسل لخشبة اشتراها من السوق؟ هو بكل علمه وخبرته وأحاسيسه يقف صاغراً أمام شيء من هذه الأشياء، فكيف يريد أحد أن نسَمي مثل هذا الشخص عاقلاً؟!

العاقل من عقل الحقيقة، وكان له الموقف المناسب منها. وهذا امرؤ ضلّ في رؤيته الحق - وأن يتعامل مع الله (كما هو أهله - كبر الصغير وأهله، ونسي الكبير وأنكره. فردّ، فئة، شعب، أمة، حضارة لها التقدم العلمي، والسبق الصناعي والزراعي - ونعمى عن أكبر حقيقة، وتخطى في أهم أمر، وفي أكبر قضية تأثيراً على الحياة والوجود - لا تكون عاقلة، ولا يصح أن تقدم نموذجاً للعقل.

العقل لا يخطئ في أكبر قضية، وفي أوضح قضية، العقل لا تتحول هداياته إلى ضلالات، ولا يأخذ بصاحبه على طريق ينتهي إلى الكارثة. وطريقُ الشرك، وطريقُ الفسق والفجور، وطريقُ الحضارة المادية، والفكر المادي طريق ينتهي بكل هذه الحياة إلى كارثة.

كان لمعاوية دهاء سياسي، وكان قادراً على أن يدبر المسألة السياسية بكفاءة عالية بعيدة عن القيم من أجل كسب المعركة على حساب القيم، وعلى حساب إنسانية الإنسان، وعلى حساب اهتمامات الرسالة. تراءى لسانل الإمام الصادق عليه السلام أن في معاوية عقلاً، كان جواب الإمام عليه السلام أن هذا ليس من العقل، العقل من الرحمن، ويقود للرحمن، ويدل على الرحمن، ويهتدي بهدى الرحمن. إذاً ما هذا؟ مسألة ذكاء وُضعت في غير موضعها. القدرة على

١. خطبة الجمعة (١٨١) ٢٥ ذي القعدة ١٤٢٥ هـ - ٧ يناير ٢٠٠٥ م.

٢. المصدر نفسه.

٣. المصدر نفسه.

التحاييل، القدرة على الاستغلال، والقدرة على الوسوسة، كلها متوفرة للشيطان، والشيطان لو كان عاقلاً لما انتهى به عقله إلى معصية الله، وأن يكون مخلاًداً في جهنم. أي عقل ذاك الذي ينتهي بصاحبه إلى الخلود في النار؟!<sup>١</sup> العقل ينفع ولا يضر، وما كان من فعل ظاهره العقل، وضره أكثر من نفعه فليس عقلاً، وما كان من التوصل إلى الأغراض الدنيئة بالخلل والحيلة والكيد والكذب والتدليس شيطنة؛ لأنه من فن الشيطان وتوجهه وممارساته، والشيطان ليس عاقلاً وقد خسر كل إمكاناته الضخمة بمعصية الله سبحانه. وحين يخسر الإنسان على يد الحضارة المادية، والطرح المادي كل إمكاناته، وكل ثروات الحياة، وكل طاقاته ومواهبه، وينتهي به هذا الرصيد الضخم إلى النار فهي ليست حضارة عقل ولا حكمة ولا خير.<sup>٢</sup>

العبادة شاملة لكل مساحة الحياة، فكل فعل يصبّ في مصلحة الإنسان من أفعال الجوانح والجوارح، وحتى ما كان لذة أو نوماً أو راحة مما يصلح صاحبه، ويعينه على الاستقامة في طريق الله، ويمدّه بالقوّة والنشاط لتحقيق دور الخلافة عنه في الأرض فهو مورد للعبادة، ومما يجازي به الله عبده خيراً. وإن كل شرّ تركه محلّ التقرب إلى الله سبحانه وطلب مرضاته. وكل الإسلام القائم على عقيدة التوحيد وما يلزمها فعل لما يُصلح ويُسعد وترك لما يُفسد ويُشقي، وليس في الإسلام غير ذلك.<sup>٣</sup>

لا تجد نفساً هداها، ولا تبلغ غايتها إلا بالدين القيم، وتوحيد الله سبحانه. وقضيتا التوحيد والشرك واردتان في الفكر والشعور والسلوك، والمجاهدة عند المكلف للثبات على صراط التوحيد تملأ كل مساحة الحياة، وكلُّ

١. خطبة الجمعة (١٨١) ٢٥ ذي القعدة ١٤٢٥ هـ - ٧ يناير ٢٠٠٥ م.

٢. المصدر نفسه.

٣. خطبة الجمعة (٢٦٦) ١٥ ذي الحجة ١٤٢٧ هـ - ٥ يناير ٢٠٠٧ م.

المعركة مع النفس من أجل كمالها وسعادتها مجاهدة لها لتثبت على هذا الطريق الذي ينحدر بها عنه الجهل والغفلة والنزوة والغرور.<sup>١</sup>

وعجيب كل العجب ألا يعرف المربوب ربه!! كيف؟! أنا مربوب يعني كل لحظة من وجودي هي من عطاء ربي، وكل شيء من قواي هو من مدد ربي. الطفل يعرف أمه وهي تحتضنه، ويعرف حاجته إليها، ويرتمي في حضنها. النبتة تحس بحاجتها إلى الأرض التي تتركز إليها. وأن ليس هناك مستند - ليس هناك مرجع - لوجودي، ليس هناك فاعلية تمدني بالوجود وبالعطاء إلا فاعلية الله. كيف يغيب عني هذا؟! أنا أحس بالأرض التي لي بها نوع علاقة أخف من علاقتي بالله، أحس بقيمة شجرة التفاح التي تعطيني التفاح، أحس بقيمة الدبنار الذي في جيبتي والذي يسر لي أن أشبع به بطني، كيف لا أشعر بعلاقتي بالله؟! نعم، وعجيب أن لا يعرف المربوب ربه! ولكن الحاجب عظيم والقلب قد عمي.<sup>٢</sup>

ليس عقلاً ذاك الذي يعنى عن الله، وليس العاقل والحكيم من عرف الله ولم تأخذ به معرفته إلى طاعته سبحانه. تُختبر العقول في تجارب الحياة ومختبراتها على مستويات، إلا أن الاختبار الأكبر للعقل في هذه الحياة هو أن يطيع العبد ربه أو لا يطيعه. فالأعمى أعمى البصر الذي لا يرى الشمس كيف أقول عنه بأنه مبصر؟! والأعمى عن نور الله الذي لا ذرة في الأرض ولا في السماء إلا وهي قائمة به ومن عطائه كيف أقول عن العقل الذي لا يراه وهو النور العام الذي يملأ الكون كله ولا نور إلا منه بأن صاحبه عاقل!<sup>٣</sup>

من هو العدو؟ الشيطان، جند الشيطان. حين يعادي الإنسان نفسه من أجل

١. خطبة الجمعة (٢٤٧) ١٩ جمادى الأولى ١٤٢٧ هـ - ١٦ يونيو ٢٠٠٦ م.

٢. خطبة الجمعة (١٨١) ٢٥ ذي القعدة ١٤٢٥ هـ - ٧ يناير ٢٠٠٥ م.

٣. خطبة الجمعة (٣٤٣) ١ ذي القعدة ١٤٢٩ هـ - ٣١ أكتوبر ٢٠٠٨ م.



عدوه، كيف تقول عنه بأنه عاقل! من لم يعادِ الشيطان، وجند الشيطان، يكون المعين على نفسه، وكيف يُعدُّ من أعان على نفسه عاقلاً فضلاً عن كونه أعقل الناس؟! فأكبر كبير بعلمه وخبرته، وذكائه اللامع إذا صادق الشيطان وعادى الله تبارك وتعالى فهو ليس بعاقل.<sup>١</sup>

---

١. المصدر نفسه.

## طريق الهدى وطريق الهوى

أمام الإنسان طريقان يقضي عُمره، وينفق أيامه، ويبذل طاقته على أحدهما؛ والطريقان: طريق هدى من الله، وطريق هوى من النفس، وما يشيع فيها من شهوات. ولكل من الطريقين انعكاسه على الذات، والأوضاع، وكل جنابات الحياة، وله آثاره في البر والبحر، وله مؤداه وغايته ومتناه. وكل الهدى في الذين الحق، وهو الإسلام، وما خالف دين الله فهو من الهوى.<sup>١</sup>

في النفس البشرية دوافع وميول مادية أوجدتها العناية الإلهية لثبير في الناس حب التعامل مع الأرض، وتؤدي إلى إعمارها، وتبقى على التوالد البشري، واستمرار الحياة فهي ما انضبطت في خط الدين والفطرة المعنوية الهادية كانت خيراً لا شراً فيه، ووسيلة بناء وإعمار، وعوناً على بلوغ الإنسان غايته. وأما إذا انفصلت حركتها عن هذا الخط، ودفعت بالإنسان لمشتهاها بعيداً عن أسس الوعي والرشد والخلق الكريم، وعن مسار التوحيد الإلهي، وضبطه لحركة الإنسان فهي الهوى والقوة الطائشة والاندفاعة المجنونة التي تُفسد وتحطّم وتُشقي وتُشر الدمار.<sup>٢</sup>

١. خطبة الجمعة (٤٢٠) ٧ شوال ١٤٣١ هـ - ١٧ سبتمبر ٢٠١٠ م.

٢. المصدر نفسه.

إنَّ الهوى لقوة دفع هائلة تأخذ بصاحبها بعيداً عن منطلق العقل والدين والصَّير والمصلحة الحقيقية، وتتجه به إلى كل مزلق بلا حساب، وتركب به كل موجة بلا روية، أو تنحدر به إلى أي قعر خطر قذر بلا انتباه. صاحب الهوى لا ينظر إلى سلامة الغاية، وصحة الهدف، ونظافة الأسلوب، وشرف الذات، وعواقب الأمور. ولو تبين له أن كل ذلك يخالف هواء لكان الهوى سيد موقفه، وقائد خطاه.<sup>١</sup>

الهوى يستدع عقائد، ويصطنع آلهة ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾<sup>٢</sup> ولا يحتاج في ذلك إلى برهان، ولا يعول على شيء من حجة. ويتمسك بالباطل وإن قام ألف دليل على أنه كذلك. والهوى يفقد صاحبه حرية الإرادة، ويقود الذات ويذلها. والهوى يقيم في حياة الناس مؤسسات وكيانات عملاقة ولكنها للفساد والإفساد.

وحركة الهوى دائماً في هوى وسقوط فعن النبي ﷺ: «إنما سمي الهوى لأنه يهوي بصاحبه»<sup>٣</sup> ولم يولد الناس فريقين فريق هدى بلا فرصة للهوى، وفريق هوى لا هدى معه ولا فرصة لنور. جنس الإنسان يؤكّد وله فطرة معرفة حقّة وضمير يظهران في مرحلة من مراحل نموه في هذه الحياة، وله دوافع لا يعيش حياته بدونها، ويولد وقد هُدي التّجدين، والإنسان يميل بإرادته إلى هدى أو ضلال، ويأخذ طريقه إلى جنة أو نار.<sup>٤</sup>

إذا كان للبدن رياضته فإن للنفس والروح رياضتهما. تبقى النفس هامة، وتبقى الروح خاملة ما لم تواجه التحديات، وتصمد أمام هذه التحديات،

١. خطبة الجمعة (٤٢٠) ٧ شوال ١٤٣١ هـ - ١٧ سبتمبر ٢٠١٠ م.

٢. النجم: ٢٣.

٣. ميزان الحكمة: ٣٤٧٦/٤.

٤. خطبة الجمعة (٤٢٠) ٧ شوال ١٤٣١ هـ - ١٧ سبتمبر ٢٠١٠ م.

وتعمل على تجاوزها بنجاح، وكلما اجتازت النفس عقبة من العقبات، وموقفاً صارماً من مواقف التحدي كلما أعطتها ذلك قوةً وزادها حيويةً وتجاوزت نقطة من نقاط الضعف، ودخلت في مرحلة من مراحل القوة. وعلى العكس فإن الساقط بإرادته أمام الامتحان تتخلف روحه، ويسقط مستوى إرادته.<sup>١</sup>

إنسان واحد في هذه الحياة لا يمكن أن يمرّ من دون امتحان، إن كان غنياً فهو ممتحن، وإن كان فقيراً فهو ممتحن، إن كان صحيح الجسد فهو ممتحن، وإن كان مريض الجسد فهو ممتحن، ما كان عنده من خير ففيه امتحان، وما ألمّ به من شر ففيه امتحان. هل تخرجه النعمة من إيمانه؟ وهل تستخفه، ويصاب بالغرور لصحته وغناه وجاهه؟ أم يبقى الإنسان القوي أمام ظرف الغنى والترف؟ والإنسان المؤمن هو الأقدر على مواجهة ظرف الغنى وتحدياته، وظرف الفقر وتحدياته.<sup>٢</sup>

الإبتلاء كثيراً ما يكون فيه غموض، لماذا مرضت؟ لماذا افتقرت؟ لماذا فقدت الولد؟ لماذا؟ لماذا؟ وتأتي أمور غير محتسبة ولا تمر على البال لتختبر هذا الإنسان وصموده. الإبتلاء فيه شدة، وفيه غموض، ويحتاج إلى رضا وتسليم، وأمر الرضا والتسليم بالله أمر سهل لمن عرف الله.<sup>٣</sup>

الخير في الدنيا على قدر، والشر في الدنيا على قدر، وقد راعى الله فيما عليه الخير من قدر، وما عليه الشر من قدر، راعى فيهما أن لا يتجاوزا طاقة الإنسان، وإلا فالجمال الذي في قدرة الله أن يخلقه في الأرض فوق هذا الجمال الذي نرى بملايين المرات، وأكثر من ملايين المرات، الغنى الذي يستطيع الله أن يوفّره في الأرض أكثر مما نتصور، لكن جاء الغنى وجاء

١. خطبة الجمعة (٢٥٩) ٢٥ شوال ١٤٢٧ هـ - ١٧ نوفمبر ٢٠٠٦ م.

٢. المصدر نفسه.

٣. المصدر نفسه.

الجمال وجاءت الخيرات على قدرٍ بحيث لا تبطش بإرادة الإنسان. لو استوى على طريق الله وتأدّب بآداب شريعته ودينه، وكذلك البلايا فليست بلايا الدنيا هي أقصى ما في قدرة الله أن يفعله، إنها لا تقاس ببلايا الآخرة، لا جمال الدنيا يقاس بجمال الآخرة، ولا سوء الدنيا يقاس بسوء الآخرة، لا النعيم ولا الشقاء في الدنيا بمستوى يقاس بمستوى ما هناك في الآخرة، وجاء كل ذلك بمقدار ليتناسب مع سنة الإبتلاء وما عليه طاقة الإنسان.<sup>١</sup>

أن نتمنى الراحة والرخاء والهدوء الدائمة، واطمئنان الأوضاع، وكف الألسن عنا فذاك أمنية لا تُنال. ما الموقف؟ الموقف أن تصنع نفسك، أن أصنع نفسي ليكون الصمود، وتكون المقاومة، وتكون القدرة على التجاوز.<sup>٢</sup> ضخامة المسؤولية، والإخلاص للمسؤولية، والأخلاقية الإيمانية الملتزمة التي لا تُتيح للشخص أن يُنفس عن نفسه كما يُنفس الآخرون عن أنفسهم تلك الأخلاقية التي تفرض على صاحبها أن يتعالى على كل الجراح، وأن يكبر على كل المنازلات الرخيصة تُعّبه، وتُحمّل نفسه الكثير من الضنى، حتى تتجاوز تلك النفس ما عليه الناس من سفاسف الأمور، وتعيش لذّة الوصال الإلهي بحيث تتغذّى بشكل كافٍ على ذلك الوصال.<sup>٣</sup>

«من قلّ سروره كان في الموت راحته»<sup>٤</sup> وتضييق الحياة حين تهم النفس وينقبض الشعور ويستاء الداخل، تضيق حياته وتثقل حتى ليجد في الموت راحته. إذن يطلب منا أن نعمل ما استطعنا على توفير فرص ومناخات وأجواء السرور للنفس والاهل وللصفّ المؤمن.<sup>٥</sup>

١. خطبة الجمعة (٢٥٩) ٢٥ شوال ١٤٢٧ هـ - ١٧ نوفمبر ٢٠٠٦ م.

٢. المصدر نفسه.

٣. المصدر نفسه.

٤. عن أمير المؤمنين عليه السلام: بهار الأنوار: ١٢/٧٥.

٥. خطبة الجمعة (١٩٦) ١٣ ربيع الأول ١٤٢٦ هـ - ٢٢ أبريل ٢٠٠٥ م.

يختلف سرور المؤمن عن سرور الفاسق والفاجر، وسرور العاقل عن سرور السفیه. تختلف الرؤية ويختلف التقدير ويختلف الوزن النفسي والذوق الداخلي، يختلف الاثنان عما يثير فيهما السرور وعما يسبب لهما الغم، فيختلف عندهما الغم والسرور. فخسارة مال عند إنسان عادٍ تحول حياته إلى جحيم، بينما لا تؤثر عليه سلباً كارثةٌ كبرى في دينه. بينما تجد العكس تماماً عند إنسان مؤمن فإنه لأكثر ما يسرّ المؤمن أن يسلم له دينه وشرفه، وأن يسلم على دينه وشرفه. وإن مسته مصائب الدنيا بسوء فإن ذلك يثقل عليه ولكن لا ينقل عليه شيء كما تنقل عليه كارثة الدين.

على أنه ينبغي أن يبحث عن الأجواء التي تجعل الحياة حياة سرور في بعدها الديني وفي بعدها الدنيوي معاً. فإن الإنسان يبقى إنساناً من لحم ودم وتبقى الضغوطات الدنيوية مكدرة له مؤثرة عليه.<sup>١</sup>

الإهتمام بالجسد، والعناية الفائقة به، وغزارة الشعور الحسي، أما الحسن المعنوي الروحي فحسٌ بارد، وحسٌ يكاد يموت. على أن الجسد وقيمه لا يمكن أن تبلغ في حياة الإنسان مبلغ قيمة الروح، إننا دائماً مع الأدنى، إننا دائماً مع الأرض، إننا دائماً مع اهتمامات الطين، إنما يستقطب حياتنا في الأكثر لأكثر لذة الجسد وألمه. ولذة الجسد وألمه ضاغطان بلا إشكال ولا شك، ولا نستطيع أن نتغلب بشعورنا من ضغط ألم الجسد ومن ضغط لذته، لكن هدف الإنسان لا يتركز في البدن، وإنما يحتاج إدراك الهدف والتعلق به إلى يقظة روح، وهناك تخفّ آلام الجسد وتبهت لذته. ولا يصل إلى ذلك إلا الصفاة، ولكن علينا أن نجاهد النفس دائماً وأبداً على الطريق الطويل؛ طريق صنع النفس، ويقظة الروح، وبلوغ الغاية.<sup>٢</sup>

١. خطبة الجمعة (١٩٦) ١٣ ربيع الأول ١٤٢٦ هـ - ٢٢ أبريل ٢٠٠٥ م.

٢. خطبة الجمعة (٢٤٠) ٢٩ ربيع الأول ١٤٢٧ هـ - ٢٨ أبريل ٢٠٠٦ م.

عن الرسول الله ﷺ: «يا أبا ذر اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك». هذه هي الأرصدة الضخمة التي بيد الإنسان، هذا هو رأس المال الكبير وهو فائز ولا يبقى، وفرصته منقضية، شبابٌ يمكث وقتاً ما ثم يفارق، سنوات ولا يلتفت المرء إلا وقد ولى شبابه، والشباب عنوان القوة، والإنتاج والفاعلية. وشابٌ على صحة تامة يدخله المرض فيخرجه من قوته ونشاطه وحيويته. اليوم غنىٌ وغداً فقر، وأكبر الأغنياء معرضٌ لأن يعقب غناه فقر، والأمر كله بيد الله. فرص الفراغ التي تتيح للإنسان أن يعبد الله تبارك وتعالى عبادة مكثفة، وأن يقوم بدور اجتماعي كبير نافع، فرص عابرة. والحياة وهي الرصيد أبو كل الأرصدة ورأس كل الأرصدة الإنسان مهتد فيها دائماً، هذا الرصيد لا نملك بقاءه لحظة، فانظر ماذا تفعل بهذه الأرصدة قبل فوات الأوان.<sup>٢</sup>

الغاية للإنسان بحسب الفطرة هي الكمال والسعادة. فكل إنسان يطلب الكمال، وكل إنسان يطلب السعادة، ولا سعادة في النقص والقصور. ولا كمال إلا في اتجاه واحد هو الاتجاه إلى الله تبارك وتعالى.<sup>٣</sup>

تبديل الإيمان إلى كفر، تبدل التوحيد إلى شرك، استبدال العبادلة لله إلى عبادة الهوى مرهق، ويُعاني منه الفرد في الحياة الدنيا فيقلق، ويألم، لأنه يفقد الركن الركين، ومهما استجمع من قوة لا يجد نفسه قوياً بها لأن القوة التي تهدى النفس، وتطمئن القلب هي القوة المطلقة، ولا يجد الإنسان أي قوة التجأ إليها قوة مطلقة ما لم يعرف الله، وما لم تنشذ روحه وقلبه إلى الله تبارك وتعالى.<sup>٤</sup>

١. الأمل: ٥٢٦.

٢. خطبة الجمعة (٢٤٢) ١٤ ربيع الثاني ١٤٢٧ هـ - ١٢ مايو ٢٠٠٦ م.

٣. خطبة الجمعة (١٩٥) ٦ ربيع الأول ١٤٢٦ هـ - ١٥ أبريل ٢٠٠٥ م.

٤. المصدر نفسه.

للمعصية أثر على النفس والروح هدام، مضل، مفسد. كلما عصى الإنسان كلما فقد من هداياته، وكلما فقد من قدرة التبصر في داخله، ومن قدرة الاستقامة. النفس لها قدرة على الاستقامة، على النهوض بالتكليف، تكبر هذه القدرة مع التزام خط التكليف، وتهبط هذه القدرة مع الانحراف عن خط التكليف، فمع كل معصية يكبر الشر في النفس، ويضمّر الخير، ومع كل طاعة يكبر الخير في النفس، ويضمّر الشر. هذه الإفاضة السببية تجعل الطاعة سبباً يستتبع مسيبه، ويجعل المعصية سبباً يستتبع مسيبه. ونُسَمّي هذه السببية في حالة ارتكاب المعصية واستتباعها أثرها السيء على النفس والروح والقلب إضلالاً<sup>١</sup>.

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾<sup>٢</sup> و﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾<sup>٣</sup> احفر وصية الله في قلبك، احفري وصية الله في قلبك، فوصايا الله لا تأتي إلا للكمال وريح ونجاح. كما أن ليس للرجل أن يرسل نظره إلى مواضع الفتنة وما حرّم الله، فالمرأة عليها هذا الأمر كذلك<sup>٤</sup>.

لا ينفع نفساً أن يراها الناس جميلة وهي تعلم من نفسها القبح، فهذه لا يمكن أن تعيش روعة الجمال ولذة الحسن، ومِمتعة الصفاء، وإنما قبحها يزهدا فيها، ويقلل من شأنها في نظرها، وينفّر منها، ويجعلها مسكونة للوحشة والاحتقار للذات. ولا يغنيها وهي القبيحة البائسة المظلمة أن يتراءى للناس وهماً منها غنى وجمال، والرياء لا يصنع غير ذلك<sup>٥</sup>.

فالحذر الحذر من توهم الهروب من علم الله، ومن تخيل جدوى محاولة

١. خطبة الجمعة (١٩٥) ٦ ربيع الأول ١٤٢٦ هـ - ١٥ أبريل ٢٠٠٥ م.

٢. النور: ٣٠.

٣. النور: ٣١.

٤. خطبة الجمعة (٢٢٦) ٢٧ ذي القعدة ١٤٢٦ هـ - ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٥ م.

٥. خطبة الجمعة (٢٠٠) ١١ ربيع الثاني ١٤٢٦ هـ - ٢٠ مايو ٢٠٠٥ م.



الهروب من علم الناس - لولا ستر الله - كل المحاولات التي يبذلها المرء للتستر على نفسه أمام أعين الناس لا تنجح لولا ستر الله عليه، ومن هان عليه علم الله بقيقه عرض نفسه إلى سخطه، وكشف الستر عنه، والله لا يعجزه معاجز. وما أكبر المصيبة على عبد علم الله بقيق سريره، وتعظيمه للناس وتصغيره لأمر خالقه، بأن يريد بطاعته غيره، ويكون تقربه بما ظاهره الحسن لمن سواه.<sup>١</sup>

المهمل لنظافة ثوبه المهمت بنظافة طريقه سفيه، وغير الناظر في صحة بدنه المشغول عن ذلك بسلامة سيارته سفيه، والمنكسب على شؤون بدنه ولذائذ مطعمه ومشربه تاركاً لعيوب روحه، وأسقام قلبه، ومفاسد نفسه أن تراكم متعاطمة؛ لتدمره أكثر سفاهة وجهالة وضلالة. أنا أعرف من نفسي أن هذا الجسد حالما تفارقه الروح سيتحول إلى شيء كربه، إلى شيء منفّر، إلى جيفة، أنا لست ذلك الجسد، أنا روح، وتلك الروح قد تنتجس وترجس، وينفر منها الذوق الإنساني الرفيع، والعقل المدرك أكثر من نفرتنا من جيفة الجسد، كما قد تسمو تلك الروح وتعالى حتى تكون محلّ تعلّق القلوب، وعشق الأفئدة، وانجذاب العقول، أما الجسد فإن يجمل حسياً، وإن يحلو، وإن يجتذب فإنما ذلك كلّهُ إلى حين. وترك الأهمّ للمهم ليس من العقل، وخسارة وزن الذات والشرف والمكانة والدين لفرفة نوم، ولصباغة بيت، وتنوع أثاث من الجنون لا العقل، ومن السفه لا الحكمة. فلنكن عقلاء.<sup>٢</sup>

لأن شهوة البطن والفرج ضاغظتان جداً ومُستمرتان استعاراً شديداً، كان الصمود أمامها نصراً كبيراً، والرد على تحديهما إيماناً عظيماً، وعبادة كبرى، وعفة عظمى، وشجاعة وبطولة، ورفعة وجمالاً فعن الإمام الباقر عليه السلام:

١. خطبة الجمعة (٢٠٠) ١١ ربيع الثاني ١٤٢٦ هـ - ٢٠ مايو ٢٠٠٥ م.

٢. خطبة الجمعة (١٨١) ٢٥ ذو القعدة ١٤٢٥ هـ - ٧ يناير ٢٠٠٥ م.

«ما عبد الله بشيء أفضل من عفة البطن والفرج»<sup>١</sup>.  
ولما عليه هاتان الشهوتان من غلوّ وغلّيان، وشدة وطغيان كان الصرعى  
أمامهما أكثر، والداخلون بهما جهنم أزيد فعن الصادق الأمين (عليه السلام): «أكثر ما  
تلج به أمتي النار الأجوفان: البطن والفرج»<sup>٢</sup>.  
فلا يغلبن الأجوفان أحدنا على دينه وعقله فيهويا به إلى النار وبئس  
القرار. نعوذ بالله من جهنم ولظاها ومن يؤسها وشقانها وأذاها.<sup>٣</sup>  
التقوى، وما أدراكم ما التقوى؟ فإنها تنشأ من منبت الرؤية الصحيحة،  
الرؤية الكونية الصادقة. متى تكون عندك تقوى؟ إنما تكتسب ملكة التقوى  
عندما ترى الله، عندما ترى عظمته عندما ترى جماله وجلاله وأخذه وبطشه  
وجبروته. حين ترى الله كبيراً تخر خاشعاً، حين ترى الله عظيماً تندك صاغراً؛  
فالتقوى تنشأ دائماً من منشأ الرؤية الكونية الصحية الصائبة، كما تقوم على  
أرضية الوجدان النقي، والفطرة الطاهرة، الإنسان بفطرته يرى الله العظيم،  
الإنسان بخلقته الأولى وبصفاته الذي أوجده عليه الله، يرى الله ربه كريماً  
جليلاً جباراً عظيماً.<sup>٤</sup>  
اتقوا الله، اصعدوا إلى الله، إطلبوا معراجاً إلى الله، حاولوا القرب إلى الله،  
سحروا كل لحظة من لحظات حياتكم في التناهي في التكامل في تزكية النفس،  
في صياغة الذات من أجل أن تكون ذاتاً مرضية لله، والله لا يرضى إلا الكمال.<sup>٥</sup>  
التقوى زادٌ كبيرٌ في القلوب وخير الزاد التقوى، التقوى نور، التقوى هدى،

١. هكذا، وفي المصدر: «... من عفة بطن و فرج».

٢. الكافي: ٢٠٣/٣.

٣. الكافي: ٢٠٥/٣.

٤. خطبة الجمعة (٨) ٢ ربيع الأول ١٤٢٢ هـ - ٢٥ مايو ٢٠٠١ م.

٥. خطبة الجمعة (٢) ١٩ محرم ١٤٢٢ هـ - ١٣ أبريل ٢٠٠١ م.

٦. المصدر نفسه.

التقوى كمال، في لحظة من لحظات الغفلة التي قد تمس النفوس ويطوف طائف من الشيطان، هنا إما أن تكون انتكاسة، وإما أن يكون استعلاء ونهوض وتنبه والتفات وبقظة ومواجهة. من لم تكن له تقوى ارتكس، وسمع نداء الشيطان، وانجذب إلى تزيينه، ومن كانت له تقوى رجع إلى زاده، انتبه إلى ما هو عليه من خطر صائب، وقام عمود من نور في ذاته، يرد كيد الشيطان، ويوجه ضربة قاصمة للشيطان من خلال موقف مواجهة صلبة صامدة يقفها هذا المؤمن ومن ورائه خلفية الإيمان، وخلفية التقوى، فالتقوى هنا ترد كيد الشيطان.<sup>١</sup>

اصنعوا أنفسكم تروا جمال الله، اصنعوا ذواتكم تروا جلال الله، اصنعوا أنفسكم تنفياً وفي ظلال الثقة وفي ظلال الإطمئنان، وفي ظلال التركيز الكوني بمعنى أن أجد نفسي جزءاً ثابتاً من هذا الكون مستمراً وشيئاً كبيراً، كل ذلك من خلال القرب. اصنعوا أنفسكم بهذا اللون من التركيز وبهذا اللون من الثقة والإطمئنان، وفي ظل التعلق بالله، في ظل التكامل من أجل رضا الله. ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>٢</sup> سبيل الله، سبيل الوصول إلى الله، الله لا يوصل إليه، (معنى ذلك أن تقربوا من الكمال الذي يريده لكم الله).<sup>٣</sup>

من طغيان الإنسان أن يرى غناه من نفسه، وحسن حاله بتديره، وأن ليس خيره من ربه، فلا يكون بره إلا كافراً، ولأنعمه إلا جاحداً. وهذا الشعور الواهم الطاغى - وهو من وحي الفنى المعمار المحدود - لا يولد إلا وهماً أشد، وطغياناً أكبر فمما يستتبعه أن يرى صاحبه نفسه للناس رباً، وأنهم له عبيد، فينتطلق في كل حياته مع هذا الوهم حتى يريه الله الرب الحق أنه العبد الذليل المملوك

١. خطبة الجمعة (٣) ٢٦ محرم ١٤٢٢ هـ - ٢٠ أبريل ٢٠٠١ م.

٢. المائدة: ٣٥.

٣. خطبة الجمعة (٢) ١٩ محرم ١٤٢٢ هـ - ١٣ أبريل ٢٠٠١ م.

المقهور الخانع. وإذا كان سُبَات الطغيان عميقاً جداً لا يكفي معه سلب الربِّ العبد نعمةً واحدةً من نعمه عنده لتعليمه عبوديته كفى سلبه ألف نعمة. ومن النعم من دون نعمة الحياة نعمٌ فقدُ واحدتها يحوّل حياة المرء كلها شقاءً.<sup>١</sup>

الغنى سبب كبير للطغيان عند الإنسان بما هو إنسان، وهذا السبب يحمي من تخريبه لنفسية صاحبه الإيمان، والذي كما يحمي من أثره السيء على النفس، يحمي من أثر الفقر. والنصر والهزيمة، والصحة والمرض وكل الظروف والحالات المتعاقبة على الإنسان، فلا يحمي شخصية الإنسان شيء كما يحميها الإيمان، يحميها عن الانهيار، عن الضعف، عن السقوط.<sup>٢</sup>

إن المؤمن يؤمن بأن المرجع إلى الله، ويده المصير، ومن عنده التدبير فلا يسعه أن يستكبر، ولا يسهل استغفاله عن عبوديته، ولا هروب الوهم به عن واقع محدوديته. وثقته بربه، واعتماده عليه، ويقينه بقدرته ورحمته يحميه من اليأس، ويقيه من الانهيار، ومن العبودية للعبيد، ومن الاستدراج للحضيض.<sup>٣</sup>

الرجل كلُّ الرجل هو من لم يخسر وزن إنسانيته، وشعوره بكرامته، وانشداده إلى هدفه في فقر، أو غنى، وتحت أي ضغط من الضغوط «الفنى والفقر يكشفان جواهر الرجال وأوصافها».<sup>٤</sup> ولا استمساك لأي شخصية عند اشتداد الإعصار، ومضاعفة ضغط الظروف، وحدة ألوان الفتن بلا إيمان.<sup>٥</sup>

من عقول استقام رغم صعوبة الطريق، ولم يركبه الهوى وما كان له في حياته مكان، ولم يعظم الدنيا ولم يرها شيئاً إلا أن تثمر رضوان الله، وتكسب الآخرة،

١. خطبة الجمعة (٩٧) ٥ ذي الحجة ١٤٢٣ هـ - ٧ فبراير ٢٠٠٣ م.

٢. المصدر نفسه.

٣. المصدر نفسه.

٤. عن أمير المؤمنين عليه السلام: غرر الحكم ودرر الكلم: ٦١.

٥. خطبة الجمعة (٩٧) ٥ ذي الحجة ١٤٢٣ هـ - ٧ فبراير ٢٠٠٣ م.

ولم يفارق الحق وإن ثقل، واكسب المخلوق الحميد والصفات الكريمة.<sup>١</sup>  
ليس معنى أن سعادة المؤمن في الآخرة أنه في الدنيا دائماً يقاسي الآلام  
ويقاسي الأمراض، ولكن الحياة الفسيحة تبدو ضيقة أمام الآخرة الكبيرة  
العلاقة الممتدة، كل لذة هنا لا تساوي شيئاً من لذة هناك.<sup>٢</sup>

الموعظة تشفي الصدور، وقيمة الإنسان في أن يكون له قلب مشافي من  
أمراض النفوس والقلوب وأسقامها. من وصايا أمير المؤمنين لابنه الحسن عليه السلام:  
«أحي قلبك بالموعظة».<sup>٣</sup> حتى الأنبياء، والأولياء يتغذون على موائد الموعظة،  
ويتعلمون من دروس الموعظة، ويجدون أنفسهم يحتاجون إلى الموعظة ما دامت  
رحلة الكمال أمامهم غير متناهية، ورحلة الكمال إلى الله لا يمكن أن تنتهي.<sup>٤</sup>

كفى بالموت واعظاً كم كفناً، كم غسلنا، كم قبرنا من أجرة وأصدقاء ومن  
مختلف الأعمار. أنا فريد في الحياة؟ حين تمر الذاكرة لابن الأربعين على من  
رأى وودّع فإنه سيرعب لكثرة من ودّع وغسل وقبر. الموت بمفاجآت - ومفاجأة  
الموت اليوم ظاهرة للعيان - نعم الواعظ، لا نستشار في الرحلة الطويلة، ولا  
يطرق علينا طارق يستأذن منا بذلك، وليس لنا خيار في ذلك، وفي أي لحظة من  
ليل أو نهار يمكن أن نودّع هذه الحياة لمرض أو لحادث خارجي مفاجئ. وقد  
ترى الجسد الذي لا تحتل فيه أي بداية لمرض عضال، وإذا بك تُفاجأ بأن  
صاحب الجسد القوي البطل يودع هذه الحياة في أيام لمرض قد لا يُكتشف إلا  
متأخراً. «فكفى واعظاً بموتى عايتهموهم حملوا إلى قبورهم غير راكبين»<sup>٥</sup>

١. خطبة الجمعة (٣٤٣) ١ ذي القعدة ١٤٢٩ هـ - ٣١ أكتوبر ٢٠٠٨ م.

٢. خطبة الجمعة (٢٦٠) ٢ ذي القعدة ١٤٢٧ هـ - ٢٤ نوفمبر ٢٠٠٦ م.

٣. تحف العقول: ٦٩.

٤. خطبة الجمعة (٢٣٩) ٢٢ ربيع الأول ١٤٢٧ هـ - ٢١ أبريل ٢٠٠٦ م.

٥. عن أمير المؤمنين عليه السلام: نهج البلاغة: ٢٧٨.

محمول لا حراك له، لا إرادة له، والراكب يختار، وهذا غير مختار، إنه مرغم على هذه الرحلة الطويلة التي كان يهابها كل حياته.<sup>١</sup>

لا بد أن تقلّ في نظرك الحياة الدنيا، لا بد أن تزهد في هذه الحياة الدنيا ما دامت القيامة هي الغاية، وإذا كان لك سعي حيث في هذه الدنيا وكما ينبغي فإنه يجب أن يكون يهدف الآخرة. يجب أن لا يكون السعي صراعاً على هذه الدنيا، وإنما ينبغي أن يكون لإعمارها الإعمار الذي أَرَادَهُ اللهُ، والإعمار الذي أَرَادَهُ اللهُ لهذه الدنيا هو إعمارٌ يصبّ أولاً وبالذات في صالح إعمار الإنسان.<sup>٢</sup>

كلّما طمعت النفس في ما في أيدي الناس كلّما ذلت لهم، وكلّما انبنت ثقة واهمة في المخلوق انهدمت الثقة الحقيقية في الخالق، وقُربُ من المخلوقين، وثقة في المخلوقين لا تُغني شيئاً مع بُعدٍ عن الله، وانهدام ثقة العبد في ربّه المحتاج إليه حقّاً والذي لا متقلّد له منه أبداً.

اليأس مما في أيدي الناس يجعلك عزيزاً، ولا يثلم من هيبتك، واليأس مما في أيدي الناس لا بد أن يبنّي على ثقة بما في يد الله تبارك وتعالى. ومن أحسن الظن في الله كان الله عند حسن ظنه.<sup>٣</sup>

الله هو الكمال وكل شيء يكون قريباً إليه نسبياً وبمقدار مع بقاء مسافة لحدود لها أبداً بين كمال الله وكمال أي شيء آخر، وبقدر ما يكتمل هذا الشيء وبقدر ما يظهر فيه الجمال الإلهي وبمقدار ما يظهر من صفات الله الحسنی في هذا المخلوق يكون قريباً إلى الله سبحانه، ومع المحدودية لطاقة الكمال واستعداده عند كل مخلوق، لكن فرق كبير بين يزيد الذي هو وفي المنحذر السحيق، وبين رسول الله الأعظم ﷺ، وعلي أمير المؤمنين والحسن

١. خطبة الجمعة (٢٣٩) ٢٢ ربيع الأول ١٤٢٧ هـ - ٢١ أبريل ٢٠٠٦ م.

٢. المصدر نفسه.

٣. خطبة الجمعة (٢٤٢) ١٤ ربيع الثاني ١٤٢٧ هـ - ١٢ مايو ٢٠٠٦ م.

والحسين وأئمة الهدى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين هم في قمة الكمال الإنساني، فإنهم يعيشون من جمال الله ما يغنيهم ويعيشون من جلال الله ومعرفته ما يُلدّ لهم الحياة، ما يطيب لهم الحياة، ما يجعلهم أقوياء بحيث لا يفتقدون قوتهم في أي ظرف من الظروف فمن كان مع الله كان الله معه، ومن رأى معية الله فهو القوي الشديد.<sup>١</sup>

طلب ولاية الله، (هو أن يكون الله وليي في مساحة الاختيار، في المساحة التي متروك لإرادتي أن تتحرك في إطارها، لا يكون وليي أبي العربي، ولا يكون وليي مجتمعي المؤمن الموجه، ولا يكون وليي قائدني الإنساني، أريد ولاية الله وصناعة الله وتدبير الله، هو الذي يأخذ بيدي في كل موقف، أريد منه أن يأخذ بيدي في كل موقف، يخرجني من كل حيرة، يهديني في كل ضلالة، ولاية الله سبحانه وتعالى بمعنى أن رعايته تقود خطاك على الطريق السديد دائماً وفي اتجاهه الصاعد).<sup>٢</sup>

لا طريق إلى كمال هذا الإنسان، ولا سبيل إلى سعادته، إلا أن يعبد الله ويخلص له العبادة، ويسعى على طريقه، ويسعى على ضوء أسمائه الحسنی، (لذلك كانت العبادة غرض الخلق، وأن ليس من غرض عند الله) إلا أن يعبد العبد ربه منفعة للعبد، وأخذاً به على طريق كماله، والله غني عن عباده، ولا شيء يصله من عبادة عباده إلا أن يتأهلوا إلى فيض أكبر، وإلى عطاء أزيد. وإذا كانت العبادة غرض الخلق، وكانت التقوى غرض العبادة، صار لنا أن هذا الخلق : أن يتقي هذا الإنسان ربه، وتقواه ربه معناه أنه يكتمل، معناه أنه ينمو، معناه أنه وصل درجة يرضاها الله والله إنما يرضى الحسن.<sup>٣</sup>

١. خطبة الجمعة (٢) ١٩ محرم ١٤٢٢ هـ - ١٣ أبريل ٢٠٠١ م.

٢. المصدر نفسه.

٣. خطبة الجمعة (٣) ٢٦ محرم ١٤٢٢ هـ - ٢٠ أبريل ٢٠٠١ م.

عنوان الإنسان نُطْلَقُهُ على كل هذه المستويات، ولكن ما مدى غزارة الإنسانية عند هذه المستويات؟ الجواب: هي مستويات يقرب بعضها جداً من مرتبة الحيوان حتى يلتصق بها... ويحدث التسامي من بعد ذلك حتى نجد بعض الصور المتأخرة تقترب من مرتبة الملائكة، وقد تفوق مرتبة إنسان مرتبتهم، ويعظم أجره على ما هم عليه هم من أجر.<sup>١</sup>

القلوب أوعية، ومنها ما يكون وعاءً لخير زاد، ومنها ما يكون وعاءً لشرّ زاد، وإنما القلب بما وعى، وقيمة الإنسان بما انطوى عليه قلبه ووعاءه. وكثيراً ما تتقلب القلوب وتحوّل حتّى جاء عن الرسول ﷺ: «إِنَّمَا سُمِّيَ الْقَلْبُ مِنْ تَقَلُّبِهِ، إِنَّمَا مِثْلُ الْقَلْبِ مِثْلُ رِيْشَةٍ بِالْفَلَاةِ تَعَلَّقَتْ فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ تَقْلِبُهَا الرِّيحُ ظَهراً لِبطن»<sup>٢</sup> وقليل من القلوب ما تستقيم على الحق لا يأخذها التذبذب عنه في كثير ولا قليل. وكثيراً منها لا يكاد يثبت على شيء من هدى، أو يستمسك بنور. وليس اتفاقاً أن يثبت قلبٌ على حقٍّ، وتتناهب آخرَ رياح التغير، ويكثر تقلُّبُه ظهراً لبطن فذلك عائداً إلى نوع وآخر من التربية، وإلى المجاهدة وعدمها، واستتارة المعرفة وخلافها، واستحقاق الفيوضات الربانية، والهدايات الإلهية وعدم استحقاقها.<sup>٣</sup>

العبادة تعلّق بالجمال والكمال، وطلب القرب من الجميل الكامل استرضاءً له، واستجداءً من جماله، واسترفاداً من كماله، وفراراً من حالة النقص والضعف والانقطاع والوحشة إليه، وتلذُّذاً وتعزُّزاً بالتذلل بين يديه. وهي ممارسة تختلف سنخاً وطبيعة عن حالة الإدراك والتفكير، إذ الإدراك والتفكير نشاط ذهني يستقبل صور الجزئيات، ويركب صوراً، ويحلل صوراً،

١. خطبة الجمعة (١٨٣) ١٠ ذو الحجة ١٤٢٥ هـ - ٢١ يناير ٢٠٠٥ م.

٢. ميزان الحكمة: ٢٥٩٨/٣.

٣. خطبة الجمعة (٢٣٠) ٢٦ ذي الحجة ١٤٢٦ هـ - ٢٧ يناير ٢٠٠٦ م.



وينتزع صوراً، ويصل إلى التصديق بقضايا، وتتوالد على يده قضايا منتجة جديدة. وهو ظاهرة مردّها إلى قوّة الإدراك والطاقة الفكرية التي تسمح بهذه الممارسة. أما العبادة فحالة عشق وانجذاب وحركة مشدودة إلى الجمال والكمال، وراءها في الذات الإنسانية روح جمالية عشّاقة للجمال والكمال المطلق لا تكفّ ما حييت وتنبّهت عن التحرك في اتجاهه، ولا تجد في أي من درجات نموّها واستكمالها أنه قد استفد، أو وصلت إلى الغاية المتطلع إليها من القرب إليه، وإن استفد داخلها كلّ الطاقة في العروج إليه.<sup>١</sup>

---

١. خطبة الجمعة (٣٩٠) ٢ ذي الحجة ١٤٣٠ هـ - ٢٠ نوفمبر ٢٠٠٩ م.